يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

أنشئ ١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوى و «مناراً» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ برج الاسد سنة ١٣١٣ هـ ش ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا
أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ
جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ؟ (٧٢) قَالُوا نَفْقِدُ
صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا
تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

(٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ؟ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٦) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ، كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

﴿٦٩ولما دخلوا على يوسف﴾ في مجلسه الخاص به بعد دخولهم البلد أو باحة القصر من حيث أمرهم أبوهم ﴿آوى اليه أخاه﴾ أي ضم اليه أخاه الشقيق وهو بنيامين من دونهم ، وهذا ما كان يتوقع يعقوب أو أكثر مما كان يتوقع من حدب عليه يظهر أثره في وجهه أو عناية يختصه بها ﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف الذي فقدتموه في صغره . وقيل إنه لم يصرح له بأنه أخوه الشقيق وإنما قال هذا من باب التجوز والتشبيه، ويرد هذا تأكيد الجملة الخبرية الاسمية بإن وبتأكيد ضمير المتكلم ، ويدل على الحقيقة قوله ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ أي فلا يرهقنك بعد الآن بؤس أي مكروه ولا شدة بسبب ما كانوا يفعلون من الجفاء وسوء المعاملة بحسدهم لي ولك . فالابتئاس افتعال واهتمام بالاسباب التي تجلب البؤس والشقاء

وفي سفر التكوين أن أباهم أرسل معهم هدية إلى الرجل فوق الفضة التي يشترون بها القمح والفضة التي كانت ردت اليهم لاحتمال أن تكون ردت سهواً وقال لهم « ٤٢ : ١٣ وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا الى الرجل ١٤ والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر (١) وبنيامين وأنا إذا عدمت الاولاد عدمتهم ١٥ فأخذ الرجال هذه الهدية وأخذوا ضعف الفضة في أياديهم (كذا) وبنيامين وقاموا ونزلوا الى مصر ووقفوا أمام يوسف ١٦ فلما رأى

(١) يعني بأخيهم الآخر شمعون إذ كان على روايته قد أمسكه عنده رهنا ليأتوا ببنيامين.

يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته أدخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهيء (طعاما) لأن الرجال يأكلون معي عند الظهر ففعل الرجل كما قال يوسف » وفيه أنهم خافوا لما أدخلوا إلى بيت يوسف أن يوقع بهم ويأخذ عبيدهم وحميرهم فقصوا على الرجل قصتهم ومنها ما وجدوه في رحالهم من الفضة المعادة اليهم فطمأنهم وأخرج اليهم أخاهم شمعون وأكرمهم إلى أن جاء يوسف وقت الظهر ليأكل معهم ، فلما جاء قدموا له الهدية وسجدوا له إلى الارض وسألهم عن سلامتهم وسلامة أبيهم أحي هو ؟ (٢٨ فقالوا عبدك أبونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا ٢٩ ورفع عينيه ونظر بنيامين أخاه ابن أمه وقال : أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه ؟ ثم قال الله ينعم عليك يا ابني ٣٠ واستعجل يوسف لأن أحشاءه حنت إلى أخيه وطلب مكانا ليبكي ، فدخل المخدع وبكى هناك ٣١ ثم غسل وجهه وخرج وتجلد . وقال قدموا طعاما ٣٢ فقدموا له وحده ، ولهم وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لان المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين ، لانه رجس عند المصريين ٣٣ فجلسوا قدامه البكر بحسب بكوريته والصغير بحسب صغره فبهت الرجال بعضهم الى بعض ودفع حصصا من قدامه اليهم فكانت حصة بنيامين أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف » وهذه الرواية ذكرها الزمخشري بما هو ألطف مما في سفر التكوين ولم يذكر المصريين بل ذكر انه أجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه ، فقال يوسف : بقي أخوكم وحيداً ، فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ، وقال أنتم عشرة فلينزل كل منكم بيتا (أي حجرة) وهذا لا ثاني له فيكون معي ، فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح ، وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك ، فقال أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ؟ قال من يجد أخا مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ، فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (إني أنا أخوك) الخ وهذا قريب من العقل والفطرة ، وفيه من عواطف الرحم وإيثار الاخ الشقيق على غيره ما سنتكلم عنه في الخلاصة الاجمالية إن شاء الله تعالى

٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ تقدم مثله قريبا ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ السقاية بالكسر: المكان الذي يستقى فيه الناس، وولاية سقيهم حيث تكون حرفة (أو مصلحة كما يقال في عرف هذا العصر) ومنه سقاية الحج المعروفة قبل الاسلام وبعده لي أن كثر الماء بمكة وكثر الحجاج. قالوا: وتطلق على إناء أو وعاء يستقى به وهو الذي عبر عنه في الآية ٧٢ بصواع الملك، وهو كالصاع مكيال معلوم يكال به الحب وغيره، ويلوح لي انه يسمى سقاية إذا كيل به الشراب الذي يوزع على المستقين كالحجاج إذ كانوا يسقون نبيذ التمر (أي نقيعه) فيكفي عدة منهم، لا انه ما يكفي الواحد كالكأس والكوب، وقد أطلقه المفسرون على المكيال الذي يسمى المكوك (مذكر) وهو ثلاث كيلجات، والكيلجة بكسر الكاف وفتح اللام: كيل معروف لأهل العراق وهي منا وسبعة أثمان منا، والمنا رطلان اه من المصباح. وفي الافصاح ان المكوك نصف الويبة وهي اثنان وعشرون مدا بمد النبي ﷺ أو ثلاث كيلجات، والمد مكيل وهو رطلان أو رطل وثلث وهو أيضا ربع الصاع اه فالمكوك على هذا كيلة مصرية، فالسقاية والصواع إذاً كيل من ١٢ من الاردب المصري المعروف الآن، والظاهر أن إضافته إلى الملك يراد به أنه المكيال الرسمي الذي صدر به أمره، لا كما يفهم من أكثر التفاسير انه كان كأسا من الذهب أو الفضة لشربه، فما المناسبة بين كأس الشراب، ومكيال بيع الطعام؟ وفي سفر التكوين انه طاس ليوسف من الفضة كان يشرب فيه ولولم يسم إلا بالسقاية لصح أن يوافق هذا المعنى والصاع يصح أن يشرب منه لا به

وأما رواة التفسير المأثور فأخرجوا عن ابن عباس في السقاية قال: هو الصواع وكل شيء يشرب منه فهو صواع، وفي رواية أخرى عنه في صواع الملك قال شيء يشبه المكوك من فضة كانوا يشربون فيه، وفي رواية ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله [صواع الملك] قال الصواع الكأس الذي يشرب فيه. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت الاعشى وهو يقول:

له درمك في رأسه ومشارب وقدر وطباخ وصاع وديسق

وفي رواية عنه: صواع الملك كان من نحاس، وعن عكرمة كان من ذهب على

مايذكرون ، وفي رواية أخرى عنه كان من فضة ، وعن سعيد بن جبير في صواع الملك هو المكوك الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم الخ وفي رواية انه كان فضة مموهة بالذهب . وهذه الروايات لايمكن أن تكون مأخوذة من اللغة كما علمت وإن ذكرت أقوالهم في بعض كتبها ، وبيت الاعشى لايدل على أن الصواع الكأس الذي يشرب الناس به ، وروي عن بعضهم أنهم كانوا يسقون به الحمير وهو أقرب ، ولا من التاريخ إلا ما ذكرنا ومن عبارة سفر التكوين زادوا عليها ما زادوا مما لا دليل عليه . وليس فيهما حديث مرفوع صحيح ولا ضعيف ، فهي إذاً من الاسرائيليات التي لاقيمة لها

﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ أي نادى مناد وقف بينهم ليسمعوا كلهم من التأذين وهو تكرار الاذان وكثرته ، وهو الاعلام بالشيء الذي تدركه الاذن ، يقال آذنه بالشيء إيذانا : أي أعلمه به ، وأذن الناس بكذا أي أعلمهم المرة به بعد المرة ومنه المؤذن بالصلاة ﴿ أيتها العير انكم لسارقون ﴾ العير بالكسر الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تجيء وتذهب ، وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير ، كأنها جمع عير بالفتح (كبيت) وهو الحمار ، وفي سفر التكوين ان قافلتهم كانت من الحمير — أي نادى بأصحاب العير قد ثبت عندنا انكم سارقون فلا ترحلوا حتى ننظر في أمركم ، والظاهر من السياق أن يوسف (ع.م) وضع السقاية في رحل أخيه بيده ولم يكله الى أحد من فتيانه كتجهيزهم الاول والثاني لئلا يطلعوا على مكيدته ، وكان من شأنهم أن افتقدوا السقاية لانها الصواع الذي يكيلون به للممتارين فلم يجدوها ، فأذن مؤذنهم بذلك أي كرر النداء به كدأب الذين ينشدون المفقود في كل زمان ومكان ، وليس في العبارة ولا في السياق مايدل على أن قول هذا بأمر يوسف حتى يقال كيف أمر بالكذب ويحتاج الى تأويله له كما تكلفه بعض المفسرين وسرق من باب ضرب والمصدر السرق بالتحرك والاسم السرق والسرقة بكسر الراء.

﴿ ٧١ قالوا وأقبلوا عليهم ﴾ أي قال اخوة يوسف لجماعة المؤذن وقد تركوا رحالهم وأقبلوا عليهم ﴿ ماذا تفقدون؟ ﴾ من فقد الشيء الموجود أي غاب عنه

وعدمه فلم يجده حيث يعهده ، وتفقده تعهده وفتش عنه حيث يعهده

٧٢ ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ أي نفقد الصاع الرسمي الذي عليه شارة الملك ﴿ ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أي وسق جمل من الطعام وهو القمح وهذا يدل على أن عيرهم كانت الابل لا الحمير إلا أن يقال إن الاحمال كانت تقدر بما يحمله البعير وان حملت على غيره ﴿ وأنا به زعيم ﴾ يقول المؤذن وأنا كفيل بحمل البعير أجعله حلوانا للذي يجيء به ، يعني ان كان مفقوداً غير مسروق أو جاء به غير سارقه

٧٣ ﴿ قالوا تالله لقد علمتم ﴾ القسم بالتاء خاص باسم الجلالة وسمع : ترب الكعبة ، أي لقد علمتم بما خبرتموه من أمرنا وسيرتنا في امتيارنا الاول وفي عودتنا وإعادتنا لبضاعتنا التي ردت الينا مع غيرها لما نبغيه من الميرة الثانية اننا ﴿ ماجئنا لنفسد في الارض ﴾ أي في أرض مصر بسرقة ولا غيرها من الاعتداء على الحقوق ﴿ وما كنا سارقين ﴾ أي وما كان من شأننا ولا مما يباح في ديننا وأدبنا أن نسرق ، فهذا من نفي الشأن وهو أبلغ من نفي الفعل كما بيناه مراراً

٧٤ ﴿ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ﴾ أي قال فتيان يوسف لهم فما جزاء الصواع على سارقه أو ما جزاء سارقه ، ان كنتم كاذبين في جحودكم للسرق وادعائكم البراءة والنزاهة ؟

٧٥ ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله ﴾ أى جزاؤه أخذ من وجد في رحله وظهر أنه هو السارق له وجعله عبداً لصاحبه ﴿ فهو جزاؤه ﴾ تقرير للحكم وتأكيد له في شرع يعقوب وآله وهو أن يسترق السارق سنة ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ للناس بسرقة أمتعتهم وأموالهم في شرعنا ، فنحن أشد الناس عقابا لهم وهذا زيادة في تأكيد قولهم لثقتهم ببراءة أنفسهم ، ولا يجوز أن تجعل هذه الجملة من كلام فتيان يوسف كما قيل

٧٦ ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ أى فبدأ يوسف بتفتيش أوعيتهم

التي تشتمل عليها رحالهم ابتعاداً عن الشبهة وظن التهمة بالحيلة ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ أي ثم انه بعد الفراغ من تفتيش أوعيتهم فتش وعاء أخيه فأخرج منه السقاية، وقيل يصح عود الضمير المؤنث الى الصواع لانه يذكر ويؤنث كما قال الزجاج، ولكن لا يناسب تأنيث ضميره بعد تذكيره في قوله (ولمن جاء به حمل بعير)

ومن دقائق القرآن التي يعز استخراجها على غير مهرة الغواصين على اللآلي، قوله تعالى (استخرجها) بدلا من أخرجها، فان الاستفعال في أصل اللغة طلب الفعل لا إيجاده، والطلب يكون بالقول ويكون بالفعل، ونكتة البلاغة فيه هنا ان يوسف فعل الاسباب التي انتهت الى خروج السقاية من وعاء أخيه سواء فعل ذلك بيده أو بأمره لغلمانه وأتباعه، فهذا ابتغاء وطلب لها بفعل أسبابها ومقدماتها، ومن أخرج الشيء من الشيء ابتداء بغير تكلف أسباب ولا مقدمات لا يصح أن يقال استخرجه: يقال أخرج يدك من جيبك ولا يصح أن يقال استخرجها، وقالوا استخرجت الشيء من المعدن بمعنى خلصته من ترابه، فصيغة الاستفعال هنا على أصلها كما في الآية، ومنه المستخرجات عند المحدثين فتأمله

﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ مثل هذا الكيد الخفي ـ وهو التدبير الذي يخفى ظاهره على ناظريه والمتعاملين به حتى يؤدي الى باطنه المراد منه ـ كدنا ليوسف اي ألهمناه إياه وأوحينا اليه أن يفعله ﴿ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك﴾ هذا استئناف لبيان الكيد له معناه أنه ما كان من شأنه ولا مما تبيحه له امانته لملك مصر أن يخالف دينه أي شرعه الذي يدين الله تعالى به في أخذ أخيه من إخوته ومنعه من الرجوع معهم وهو ملتزم له بتفويضه الحكم في بلاده به، فأخذه بغير جرم يبيحه له ظلم واستبداد، وللسرقة عقاب دون أخذ السارق واسترقاقه

بيان هذا الكيد الالهي انه لما كان استبقاء بنيامين عند يوسف مصلحة اقتضتها الحكمة الربانية في تربية إخوته وعقابهم بما فرطوا في يوسف وتمحيصهم وتصفيتهم هو اصطفاء أبيهم أيضا واستحقاقهم إتمام النعمة عليهم يتوقف على أخذه بصفة غير

استبدادية وغير ماتقتضيه شريعة الملك ، وما هو إلا أن يكون بحكم اختياري من إخوته على أنفسهم بمقتضى شريعتهم ، يذيقون به أله ومرارته فما لا لوم به على أحد غير أنفسهم ، ولا سبيل إلى هذا الحكم منهم إلا وقوع شبهة السرق على بنيامين من حيث لا يؤذيه ذلك ولا يؤلمه وقد أعلمه أخوه يوسف به وبغايته .

ولما كانت هذه الوسيلة الوحيدة إلى تلك الغاية الشريفة منكرة الظاهر لأنها تهمة باطلة وكان من شأن يوسف أن يتأثم بها ويتحاماها إلا بوحي من الله تعالى بين تعالى انه فعل ذلك بمشيئته وإذنه فقال ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ فهو نص صريح في أنه فعل ذلك بإذن الله تعالى ووحيه لا أنه هو الذي اخترع هذه المكيدة ، واحتال بها لمخالفة الشريعة ، كما يزعمه علماء السوء أصحاب الحيل التي يخترعونها لاتباع أهوائهم والخروج عن حكمة ربهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ في العلم والايمان كما رفعنا درجة يوسف ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وأوسع إحاطة وأرفع درجة منه في العلم المطلق إما علمه وإما غير علمه الذي تفوق فيه كما تدل عليه قصة موسى مع الخضر، فلا يوجد أحد من علماء الخلق يحيط علما بكل شيء فيكون فوقهم كلهم ولا يكون فوقه أحد. وإنما الذي أحاط بكل شيء علما وهو فوق كل ذي علم على الاطلاق فهو الله رب العالمين عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما

---

(٧٧) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٨) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٩) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ

ماذا قال اخوة يوسف العشرة عندما رأوا السقاية قد استخرجت من وعاء بنيامين؟

٧٧ ﴿ قالوا إن يسرق ﴾ هذا من دوننا وما كانت السرقة من شأننا وأبنا ﴿ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام وان العلة فيه وفي أخيه واحدة وهي أمهما ، كأنهما ورثا هذه الجريمة منها . إذ لا ينفردان دونهم إلا بها، وهذه التهمة دليل على أن حسدهم لهما لا يزال كامنا في قلوبهم وإن علته الاولى اختلاف الامهات، وزيادة عطف الاب عليهما كما قلنا في تفسير أول السورة. ويجوز أن تكون هذه التهمة كاذبة كقولهم (أكله الذئب) وأن يكون لها شبهة كشبهة سرق بنيامين

اختلف المفسرون في هذا وذاك ورووا فيه روايات لا يعرف لها أصل إلا ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا قال« سرق يوسف (ع.م) صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره وألقاه في الطريق فعيره بذلك اخوته »وعن سعيد ابن جبير وقتادة مثله غير مرفوع ولم يخرج المرفوع أحد من رواة التفسير المأثور غير ابن مردويه ولم يعتمده منهم أحد بل عبر بعضهم عنه بقيل . وقيل كان الصنم لخاله يعبده فأمرته أمه بسرقته وكانت مسلمة ،وقيل سرقه من كنيسة وقيل سرق مكحلة لخالته ، وقيل بيضة وقيل دجاجة ،وقيل أخذ شيئا من الطعام عن المائدة فتصدق به.
وكل هذه روايات إسرائيلية سخيفة كان زنادقة اليهود يضحكون بها على المسلمين وألبقها وأليقها بالمقام ما أخرجه ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد وهو: قال كان أول ما دخل على يوسف (ع.م) من البلاء فيما بلغني أن عمته وكانت أكبر ولد اسحاق عليه السلام وكانت اليها منطقة اسحاق فكانوا يتوارثونها بالكبر وكان يعقوب حين ولد له يوسف عليه السلام قد حضنته عمته فكان معها واليها فلم يحب احد شيئا من الاشياء كحبها إياه حتى اذا ترعرع ووقعت نفس يعقوب عليه السلام عليه فأتاها فقال يا أخية(١) سلمي إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت فوالله ما أنا بتاركته فدعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه، فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحاق عليه السلام فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه ، ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من أخذها ومن

١) تصغير اخت للتحبب

أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام فقالت والله انه لسلم لي أصنع فيه ماشئت، فأتاها يعقوب عليه السلام فأخبرته الخبر فقال لها: أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت عليها السلام، فهو الذي يقول اخوة يوسف عليهم السلام حين صنع بأخيه ماصنع (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) والروايات لا يوثق بها ولا يدل شيء منها على سرقة حقيقية

﴿ فأسرها يوسف في نفسه ﴾ أي فكتم هذه القولة أو الكلمة التي سمعها يوسف منهم في نفسه ﴿ ولم يبدها لهم ﴾ أي لم يؤاخذهم بها قولا ولا عملا لانه بلغ منهم كل ماأراد من حيث لم يتعرف اليهم ولكنه ﴿ قال أنتم شر مكانا ﴾ أنتم شر في مكانتكم ومنزلتكم مما تعرضون به أو تقذفونه، يعني انكم سرقتم من أبيكم أحب أولاده اليه وعرضتموه للهلاك والرق، وقلتم لأبيكم قد أكله الذئب الخ

﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ وهو أنكم كاذبون فهو يجازيكم عليه في الدنيا الآن. والظاهر انه قال هذا في نفسه فهو استئناف بياني، ورجح بعضهم أن هذه الجملة تفسير للضمير في (أسرها) على أنه مما يسميه النحاة الاضمار على شريطة التفسير الذي يجوزون به عود الضمير المتقدم على المتأخر عنه لفظا ورتبة وله شواهد ونازع فيه بعض أئمتهم بما لا محل له في تفسيرنا

٧٨ ﴿ قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا ﴾ بالغا غاية الكبر في الشيخوخة أو كبير القدر جديرا بالرعاية كما علمت مما قصصناه عليك من خبره وتعلقه به ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ بدله إذ استحققت أخذه فهو يحل محله عندك فيما تشاء من الخدمة التي تراد من الرقيق، من حيث ترحم هذا الشيخ الكبير فيما لا يضيرك ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ الذين لا يأبون إحسانا يقدرون عليه أو من المحسنين إلينا في ميرتنا وضيافتنا وتجهيزنا، وهذا الذي نرجوه منك الآن، هو غاية الاحسان

٧٩ ﴿ قال معاذ الله أن نأخذ ﴾ اي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ ﴿ الا من

وجدنا متاعنا ﴾ وهو الصواع ﴿ عنده ﴾ وهو بنيامين، ولم يقل الامن سرق متاعنا اتقاء للكذب فانه يعلم انه ليس بسارق ، وقول المنادي «انكم لسارقون» مبني على الظاهر له من فقد الصواع فقد قال ما اعتقد ولم يكن يعلم المكيدة كما تقدم على أنه ليس كيوسف في تحرى الحق ﴿ إنا اذاً ﴾ أي اذا أخذنا غيره ﴿ لظالمون ﴾ بمخالفة حكم شرعكم ونص فتواكم من إحدى الناحيتين ولشريعة الملك من الثانية

(٨٠) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨١) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

٨٠ ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ أي استحكم اليأس في أنفسهم من قبول العزيز اشفاعتهم واستعطافهم لاقامته الحجة عليهم بشرعهم وفتواهم وكون فعله حينئذ يكون ظلما بحكم الشريعتين : شريعتهم وشريعة ملك مصر ، أو استيأسوا من بنيامين ان يعود معهم الى ابيهم ، فالاستيئاس هنا اخص من اليأس الذي يقع ابتداء من غير

طلب لاسباب الرجاء التي تحول دونه فهو على اصل معنى الصيغة كما قلنا آنفا في كلمة (استخرجها) وعبروا عنه بالمبالغة في اليأس ﴿ خلصوا نجيا ﴾ انفصلوا من كل شيء كانوا فيه وانجمعوا دون يوسف واخيه وفتيانه لا يخالطهم أحد ولا شيء خالصين للمناجاة والمسارة في امرهم كأنهم نجي واحد أو كأنهم نفس المناجاة ، فالنجي يطلق بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى (وقربناه نجيا) وبمعنى المصدر أو اسمه اي التناجي والنجوى فيستوي فيه المفرد والمثنى والجمع فيقال هم نجي ونجوى ومنه قوله تعالى (وإذ هم نجوى)

وهذه الجملة في منتهى البلاغة وإعجاز الايجاز ، يتمثل للعربي عند سماعها أولئك الاخوة العشرة وقد أعرض كبيرهم عن استعطاف العزيز ، وغادر كل واحد رحله وما كان فيه ، وانكمش بعضهم إلى بعض وأدنى رأسه من رأسه وأرهفوا آذانهم للنجوى ﴿ قال كبيرهم ﴾ في السن والرأي ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ﴾ أي عهداً مؤكداً بالقسم بالله لتأتنه ببنيامين الا أن يحاط بكم فلا يبقى منكم أحد وما الوقت ببعيد فينسى ﴿ ومن قبل ما فرطتم في يوسف ﴾ التفريط في الشيء المبالغة في التقصير والاهمال له، وضده الافراط وهو المبالغة فوق الحاجة — أي ومن قبل هذا ماقصرتم في حفظ يوسف بعد وعدكم المؤكد بحفظه ، أو تفريطكم فيه ، وما قاساه أبوكم من الحزن عليه ﴿ فلن أبرح الارض ﴾ أي فلن أفارق هذه الارض أو أرض مصر ﴿ حتى يأذن لي أبي ﴾ بتركها وبنيامين فيها والرجوع اليه ﴿ أو يحكم الله لي ﴾ بأمر من عنده مما هو غيب في علمه كأن يترك العزيز لي أخي بإلهام منه تعالى أو بسبب آخر ، فالحكم هنا تكويني لا تكليفي وهو المعبر عنه بالقضاء والقدر ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ لانه لا يحكم إلا بالحق وهو القدر للاقدار، والمسخر للاسباب

٨١ ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق ﴾ صواع الملك فاسترقه وزيره العزيز القائم بالامر في مصر عملا بشريعتنا إذ اضطررنا إلى إنبائه بها بعد أن استفتيانا . والاكتفاء بكلمة «سرق» من ايجاز القرآن في السكوت عن المعروف.

بالقرينة أو غيرها من الدلائل كقوله تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون)
﴿ وما شهدنا ﴾ عليه بالسرقة بسماع او إشاعة أو تهمة: ما شهدنا ﴿ إلا بما علمنا ﴾
إذ رأينا الصواع قد استخرج من متاعه ، أو ماشهدنا للعزيز بأن السارق يسترق
إلا بما علمنا من شرعنا علما قطعيا جرى به العمل ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ فنعلم
انه يسرق — او فنعلم كيف وقع هذا : هل هو حق او كيد كيد له؟ ولو كنا نعلم
الغيب لما آتيناك الموثق علينا

٨٢ ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ اي وأضف الى شهادتنا هذه سؤال أهل القرية التي كنا نمتار فيها ، وهي مصر ، قال الراغب القرية اسم الموضع الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعا ويستعمل في كل واحد منهما ، ومنه قرية النمل ، ويقال قريت الماء في الحوض وقريت الضيف قرى وقري (بالفتح وبالكسر) وقريان الماء مجتمعه

﴿ والعير التي أقبلنا فيها ﴾ أي أصحابها ممن كانوا يمتارون معنا ﴿ وإنا لصادقون ﴾
في شهادتنا سواء أسألت غيرنا ام لا . انتهى ما لقنهم اياه كبيرهم

٨٣ ﴿ قال بل سولت لكم انفسكم أمراً ﴾ اي فرجع الاخوة التسعة الى ابيهم فقالوا له ما لقنهم كبيرهم فلم يصدقهم على نا كيدهم للخبر وانما قال لهم ما معناه ان الامر ليس كما تقولون بل سولت لكم انفسكم امراً كيدا آخر اي هيئته وزينته لكم فنفذتموه ، فان لم تكونوا تريدون بأخيكم سوءاً فلم لقنتم هذا الرجل حكم شريعتنا وأفتيتموه به ؟ ﴿ فصبر جميل ﴾ فالذي عليّ والمصيبة قد وقعت صبر جميل أتجمل به بين الناس وأشكو امري الى الله دونهم وأنوط الرجاء به وحده

﴿ عسى الله ان يأتيني بهم جميعا ﴾ يعني اولاده الثلاث : يوسف وبنيامين وكبيرهم الذى بقي مرابطا في مصر ﴿ إنه هو العليم الحكيم ﴾ الذي يحيط علما بحالي وحالهم وله فينا حكمة بالغة هي ولا بد بالغة أجلها ، وهذا يلاقي قوله ليوسف إذ قص عليه رؤياه (وكذلك يجتبيك ربك) الى قوله (ان ربك عليم حكيم) فتأمل وتدبر ، وتذكر واعتبر

٨٤ ﴿ وتولى عنهم ﴾ أي أعرض عن أولاده قطعاً للكلام معهم كراهة له ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي يا حزني ويا حسرتي عليه، اقبلي فقد حقت كلمتك علي، قال الزمخشري الأسف أشد الحزن والحسرة، وقال الراغب : الأسف الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل منهما على الانفراد، وذكر أن ابن عباس (رض) سئل عنهما فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً اهـ مختصراً ومن استعماله في الغضب قوله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال الزجاج: الأصل (يا أسفي) فأبدل من الياء ألفاً لخفة الفتحة . والأسف شدة الجزع وقيل شدة الحزن ومناداة الأسف تعبير عن الشعور بأن الوقت وقته فهو قد وقع بحق فإن الطبيعة مقتضية له فلا مناص منه لما تجدد من سبب لهتياجه إذ كان ينتظر أن يأتوه من مصر ببشرى لقاء يوسف كما علم مما نقلناه في تفسير الحاجة التي كانت مطوية في سويداء قلبه إذ نصح لهم بالدخول من أبواب متفرقة، فخاب أمله وحل محله ذهاب ابنه المسلي عنه ولم يشركه معه بالأسف عليه لأن مكان حب يوسف والرجاء فيه، قد ملأ سويداء القلب وحبانيه وإنما محل غيره ورا. الشغاف وجداره الخارجي

﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ أي عميتا أو أصابتهما غشاوة بيضاء ذهبت ببصرهما موقتاً مع بقاء عصبهما المدرك للمبصرات صحيحاً ﴿ فهو كظيم ﴾ أي مملوء غيظاً على أولاده فقد كتمه في نفسه وفسروه بالمغموم وبالمكروب وبالكمد والمكمود، وقال قتادة : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيراً، وفي لفظ يرد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء . وهو من كظم السقاء إذا شده بعد ملئه ، وكظم البعير إذا ترك الاجترار، والكظم مخرج النفس ويقال لمن يكتم ما في نفسه كتم نفسه كظيم ومكظوم، والحزن عرض من أعراض النفس الطبيعية لا يذم شرعاً إلا إذا لم يصاحبه الجزع أن يقول أو يفعل ما لا يرضي الله تعالى كما قال سيد الصابرين ﷺ عند موت ولده ابراهيم وقد جعلت عيناه تذرفان فقال له بن عوف : وأنت يا رسول الله! فقال « يا ابن عوف إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى « فقال ان

العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم محزونون » رواه الشيخان وغيرهما

ولكن الأنفس العالية لا يبلغ منها الحزن غايته إلا اذا كان المحرك له أمر إلهي يليق بها كما يعلم من الآية الآتية في جواب يعقوب لأولاده على عذلهم له

وفي التفسير المأثور عن النبي ﷺ قال « إن داود عليه السلام قال يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعاً . فأوحى الله اليه أن ياداود إن ابراهيم ألقي في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان اسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن وتلك بلية لم تنلك » وهذا حديث مرسل أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس ، وعلي بن زيد بن جدعان هذا ضعيف له مناكير ضعفه الامام أحمد كما روى ذلك عنه أولاده : حنبل وعبد الله وصالح وغيرهم وقال الجوزجاني : واهي الحديث ضعيف وفيه ميل عن القصد . قالوا وكان رافضيا وقد اختلط في آخر عمره وقالوا انه كان يقلب الاحاديث ورفاعا أي يرفع إلى النبي ﷺ ما ليس بمرفوع . وقال الحافظ ابن كثير في هذا الحديث : وهذا مرسل وفيه نكارة فان الصحيح أن اسماعيل هو الذبيح ولكن علي بن زيد ابن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم . وأقرب ما في هذا ان الاحنف ابن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني اسرائيل ككعب الاحبار ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني اسرائيل ينقلون ان يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه : إنا أهل بيت مصابون بالبلاء . فابراهيم ابتلي بالنار واسحاق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم اه

---

(٨٥) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا

مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

٨٥ ﴿ قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال تذكر يوسف وتلهج به ولا تفتر ولا تنسى همه ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ أي مشفيا على التلف ومشرفا على الهلاك من شدة الحزن والجزع ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ بالفعل فتموت كمدا

الاصل في فعل فتىء أن يستعمل منفيا كأخواته: « مازال وما برح وما انفك » فيقال ما فتىء ولا تفتؤ فحذف (لا) مع القسم لانه لا يلتبس بالاثبات لان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي. ومن الشواهد عليه قول أمرء القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي إليك وأوصالي

والحرض مصدر حرض (كتعب) إذا أشرف على الهلاك من مرض أو حزن أو خوف فهو حرض بالتحريك يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا لانه مصدر وقال الراغب: الحرض مالا يعتد به ولا خير فيه ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك. وفي الأساس: نهك فلان مرضا، حتى أصبح حرضا، وهو المشفي على الهلاك ولا تأكل كذا فانه يمرضك ويحرضك اه

٨٦ ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ أصل البث تفريق المجتمع وإثارة الكامن. وبث النفس إظهار ما انطوت عليه من الغم أو السر، أي لم تلوموني وأنا لم أشك اليكم ولا الى أحد من الخلق كدي الذي ضاق صدري عن حبسه فبثثته، وحزني الذي أمضني كتمانه فأفشيته بهذه الكلمة (يا أسفي على يوسف)؟ إنما أشكو ذلك إلى الله وحده ﴿ وأعلم من الله ﴾ في ابتلائي بفراق يوسف وخفاء حاله علي ﴿ ما لا تعلمون ﴾ أعلم منه انه حي يرزق وان الله يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب وذريته به في الدنيا والآخرة، وأرى البلاء يتناوشكم من كل جانب

جذنو بكم وبتفريطكم بيوسف من قبل، وبأخيه الذي كان يسليني عنه من بعد ، وأنتم تظنون أن يوسف قد هلك ، وأن بنيامين قد سرق فاسترق ، وتحسبون أني بحزني ساخط على قضاء الله في شيء أمضاه فلا مرد له ، وأنا أعلم ان له أجلا فيه هو بالغه، كلا،هذا مايدل عليه حال يعقوب(ع . م ثم راجعت الدر المنثور فرأيت في تفسير الآية روايات وعظية لا يصح منها شيء ولا يليق بنبي الله مبنية على عدم التفرقة بين الشكوى من الله والشكوى الى الله التي هي مناجاة واسترحام ، ومن أكذبها ماعزاه وهب بن منبه الى التوراة وانما الفهم الصحيح منها ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) في تفسير (واعلم من الله ما لاتعلمون) يقول اعلم ان رؤيا يوسف حق وأني سأسجد له

٨٧ ﴿ يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ أي اذهبوا إلى مصر فتكلفوا أن تدركوا بحواسكم من سمع وبصر شيئا من حال يوسف وأخيه حتى تكونوا على يقين من أمرهما ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ أي فرجه وتنفيسه عن النفس لهذا الكرب ،وترويحه بما ترتاح له الروح ويطمئن به القلب ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ بقدرته وسعة رحمته الذين لا يتجاوز علمهم بشئون أنفسهم وأحداث زمانهم دائرة ظنونهم واختبارهم الناقص الى ما لله عز وجل في عباده من حكم بالغة ولطف خفي ، فاذا تقطعت بهم الاسباب دون ما يبغونه من كشف ضر أو جلب خير بخعوا أنفسهم أسفا، وانتحروا بأيديهم هما وحزنا ، فأنفع ما يمتاز به المؤمن على الكافر أن المصائب والشدائد لا تقنطه من رحمة ربه وتفريجه لكربه ، وان عظم عليه المصاب وتقطعت به الاسباب

ثم اعلم أن الروح (بالفتح) ماترتاح له الروح (بالضم) وهما من مادة الريح، كما ان مرادفها وهو النفس (بالفتح) من مادة النفس (بالتحريك) وهو نسيم

الهواء الذي يتنفسه الانسان فيطهر دمه ويحفظ حياة نفسه الحيوانية، وما سميت اللطيفة الربانية المدركة العاقلة نفسا وروحا، وهي من عالم الغيب، إلا لأن نسيم الهواء أقرب ما في عالم الشهادة اليها في لطافتها وما في معناها من معنى الحياة. قال الشاعر :

* وحل من نفسي محل النفس *

فروح الله لطفه الذي هو واسطة بين الحياتين الروحية والحيوانية بما فيه من تنفيس كرب النفس، ويسمى الفرج بعد الضيق نفسا (بالتحريك) ومنه حديث « إني لأجد نفس الرحمن من ههنا » وأشار إلى اليمن وله تتمة رواه الطبراني عن سلمة بن نفيل، وحديث « لا تسبوا الريح فانها من روح الله تعالى » الخ رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي والحاكم عن أبي

---

(٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

﴿ الفصل الرابع في الفرج القريب، وعطف الحبيب على الحبيب ﴾

٨٨ ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ أي أصابنا ضر المجاعة من هزال وضعف ، شكوا هذه المرة مالم يشكوا من قبل ليروا تأثير الشكوى فيه ، وغرضهم الاول التحسس لا الامتيار ، شعروا أن أيامهم رجح أنه هو يوسف فأرادوا أن يروا تأثير هذا الاستعطاف فيه ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة من شأنها أن يدفعها التجار ويردوها احتقاراً لها ، إذ لم يبق عندنا غيرها ، من أزجى الشيء وزجاه إذا دفعه برفق ، ومنه (ألم تر أن الله يزجي سحابا) وفي المصباح : وبضاعة مزجاة تدفع بها الايام لقلتها ، وأزجيت الامر أخرته ، وذكر بعض رواة المأثور نوع هذه البضاعة ولا مستند له ، وهذه العودة بين مصر وفلسطين لم تذكر في سفر التكوين ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ كعادتك الحميدة ، ومقتضى إحسانك ﴿ وتصدق علينا ﴾ بما تزيده على حقنا ببضاعتنا بعد اغماضك عن رداءتها ﴿ إن الله يجزي المتصدقين ﴾ بخلاف ما ينفقونه والمضاعفة لهم بما هو خير منه ، بالغوا في التذلل والاستماحة وإظهار الذل والحاجة لما ذكرنا آنفا من تحسس تأثير ذلك في معارف وجهه ، وجرس صوته ، ومغالبة دمعه ، واستشكل المفسرون طلب الصدقة وهي لا تحل للانبياء قياساً على خاتمهم عليه وعليهم السلام ، والقياس مع الفارق ، والجماعة لم يكونوا أنبياء ، وما فعلوه معه كاف في الدلالة على بعدهم عن النبوة واختصاصه بها دونهم كما تقدم ، ولقد كان تحسسهم في موضعه ، فماذا قال يوسف؟

٨٩ ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أي هل علمتم الآن ما آن لكم أن تعلموه بالتجارب في هذه السن من عاقبة ما فعلتم بيوسف من قبل وأخيه بنيامين من بعد ، وقد قرب العهد ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ قبح فعلكم ، في نظر ربكم ، وحكم شرعكم ، وحقوق بر الوالد ، ورحمة الرحم ، أي في الحال التي كان يغلب عليكم الجهل بهذه الحقوق ، وبعاقبة البغي والعقوق ، ويجوز أن يكون مراده بالجهل ما يقابل العقل والحلم ، لا ما يضاد العلم ، وهو الطيش والنزق واتباع الهوى

وطاعة الحسد والاثرة ، والمختار عندي الجمع بين المعنيين فكلاهما كان واقعا

قال يوسف هذا تمهيداً لتعريفهم بنفسه إذ آن أن يصارحهم بها ، وقد بلغت الاقدار من تربيتها له ولهم غايتها، ولم يبق بعد هذا التمهيد إلا التصريح ، وتأويل رؤياه التي كانت السبب الاول لكل هاتيك الافاعيل ، وقد كان هذا التمهيد عجبا في بلاغته ، وما يدل عليه من شعور يوسف الصديق النبي (ع.م) وخلقه ودينه وأدبه ، إذ فصل بهذا السؤال الوجيز الساذج في قضية يحار في الفصل فيها أوسع القضاة عدلا ورحمة ، ويعيا بالتعبير المرضي عنها أبلغ الادباء علما وحكمة ، وهي مقابلة طرفين نمد أحدهما اقتراف جناية على الآخر طال عليها المدى عشرات السنين ، وكانت غايتها أن يقف الجاني بين يدي المجني عليه وهو يجهله موقف البائس الفقير ، المستجدي الحقير ، على ما نشأ عليه من عزة النفس ، وشرف الحسب والنسب ، واقتضت الحال أن يتعارفا وهما اخوان ، وأن يتناسيا ما كان ، فكيف يتقابلان ؟

المقام مقام خجل من الجاني وخسوف وكسوف، واسوداد وجوه، وتنكيس أبصار، واعتذار واستغفار ، يذيب الفؤاد ويخرس اللسان ، يقابله حلم وعفو وكرم من المجني عليه ، ربما كان الاعتزاز بها على الجاني لأول وهلة أقتل لعزة نفسه وإبائه من العتاب ومما هو أشد منه وهو التأنيب والتثريب، فكيف كان المخرج ليوسف عليه السلام ، من هذا المأزق الذي تحار فيه الافهام ، ويضطرب فيه الوجدان ، بما يكون خير أسوة لصلة الارحام ، ومحو الاساءة بالاحسان ؟

ذكر اخوته بذنوبهم قبل أن يتعرف اليهم ، تذكيراً مجملا مقرونا بذكر العذر الطبيعي دون الشرعي ، وهو الجهل بقبح الذنب في نفسه وبسوء عاقبته، وبالجهالة التي تزينه لفاعله، وتمكن لنزغ الشيطان من نفسه الامارة بالسوء ، بل بهما جميعا . ذكرهم هذا بسؤالهم سؤال العارف باستفهام التقرير، لا التقريع والتوبيخ كما قيل ، فانه رده مايأتي من نفي التثريب ، واستغفار العفو والصفح ، وأما سهم أخيه من فعلتهم فهي ما اقتضاه إشراكهم إياه في حسدهم له من أول نشأته الدال عليه قولهم أولا (ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) وقول أبيهم آخراً (هل آمنكم

عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل؟) واتهامه إياهم بأنهما أفتوا عزيز مصر باسترقاقه بالسرقة إلا بما أضمروه له من حقد، وما سولته لهم أنفسهم من أمر، ولا يخفى على ذكي ولا بليد، كيف يعيش "الفرد المحسود الضعيف" مع جماعة تحسده وتكيد له

هذا ما أفهمه من عرض القضية على ما نعلم من طباع البشر وسنة الله في الاجتماع ويقرب منه من إحدى النواحي ويبعد عنه من سائرها ما قاله الزمخشري وقد افترصه لترجيح قول جماعته (المعتزلة) على خصومهم (الاشعرية) في مسألة التقبيح والتحسين، وإنما نورده لبلاغة عبارته واتباع غيره له فيه ثم نشير إلى ما فيه وهو:

(قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه، يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه؟ لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا، إيثاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثاره الموتور، فلله أخلاق الانبياء ما أوطأها وأسجحها، ولله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين، وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا (مسنا وأهلنا الضر) وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول. وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب:

«من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر. أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاما، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به

فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا، فان رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام» فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك. وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب: اصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا اه قول الزمخشري وأقره ابن المنير وغيره عليه، بل اتبعوه فيه

أقول: أما ماقاله في تفسير سؤالهم عن العلم بأنه نفي علمهم بقبحه وعلله بأنهم لو علموه ما فعلوه فهو تكلف مخالف لطباع البشر فانهم يفعلون القبيح وهم يعلمون قبحه طاعة للحسد والاثرة، وترجيحا للهوى على الهدى الخ، وأما الرواية التي ذكرها في كتاب يعقوب (ع.م) الى عزيز مصر فهي من الاسرائيليات الباطلة، وأسلوبه اسلامي مصنوع، ومن أغراض كعب الاحبار ووهب بن منبه فيه المروي عنه اقناع المسلمين بأن الذبيح إسحاق لا اسماعيل كما تقدم في تفسير الآية ٨٦ خلافا للمتواتر عند العرب الذي أقره الاسلام وجعلت الاضاحي وهي سنته في فداء ولده اسماعيل من مناسك الحج حيث فداه الله في منى من ضواحي مكة وطن اسماعيل فبث زنادقة اليهود في التفسير المأثور أن الذبيح اسحاق، وقد صار هذا مذهبا يؤخذ بالتقليد ويحرف لاجله تفسير القرآن، فان القصة في سورة الصافات صريحة في أن الذبيح هو ولد ابراهيم الاول (اسماعيل) وأن الله قد بشره على احسانه فيها بولده الثاني (اسحاق) إذ قال في آخرها ٣٧: ١٠٦ إن هذا لهو البلاء المبين ١٠٧ وفديناه بذبح عظيم - الى قوله - ١١٢ وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين)

---

٩٠ ﴿ قالوا أءنك لأنت يوسف ﴾ قرأه ابن كثير (إنك) بهمزة واحدة والجمهور بهمزتين، كان سؤالهم عما فعلوه بيوسف وأخيه سؤال عارف بأمرهم معهما من أوله البعيد جداً الى آخره القريب جداً، مصداقا لما أوحاه الله اليه حين ألقوه في غيابة الجب (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) ودليلا راجحا على أنه هو يوسف إذ يبعد أن يعرف غيره هذا، فأرادوا أن يتثبتوا منه بالعلم اليقين الذي يذهب بكل احتمال لما يعترضه من الشبهة بوجوده في هذا المنصب

السامي فوجهوا اليه الاستفهام بجملة اسمية مؤكدة بان في اسمها وباللام في خبرها وبضمير الفصل بينهما ، يعنون أمن المؤكد القطعي الذي لاريب فيه انك أنت يوسف ؟ ولولا هذا لكان يكفيهم أن يقولوا : أأنت يوسف ؟

ومن العجيب أن يتكلف المفسرون سببا لهذا السؤال ينتحلونه أو ينقلونه عمن ينقلون مثله من رواة الاسرائيليات كقول بعضهم إنه تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم ، وما كان هذا المقام معهم بمقام تبسم ، وكان أولى منه بالتبسم يوم ضيافتهم ، ومجلس مؤاكلتهم ، وقول آخر إنه رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء !! ونقول : من ذا الذي رأى هذا القرن فرواه باسناده المتصل في هذه القرون الطويلة ؟ ولم يسلم من التكلفة أو السخافة من قارب الصواب منهم فقال إنهم عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم ، نعم إنهم عرفوه بخطابه معرفة ظنية راجحة كما قلنا ، ولكنه خطاب لايدل على الاسلام ولا على نسب ابراهيم ﷺ بل خطاب عارف بما وقع، وكونه مسلما من سنخ ابراهيم ليس من مدلول خطابه بنص ولا فحوى وإن كان هو الواقع بالفعل ، فلا العجب من افتتان جماهير الناس بهذه الروايات وتقليد بعض المفسرين فيها لبعض ، من غير تأمل ولا بحث ، كأنها من كلام الله الذي يجب تلقيه بالقبول والتسليم

﴿ قال أنا يوسف ﴾ صرح باسمه العلم لأنه نص قطعي الدلالة مطابق للسؤال

﴿ وهذا أخي ﴾ الذي فرقتم بيني وبينه ﴿ قد منَّ الله علينا ﴾ فجمع بيننا على أحسن حال في ديننا ودنيانا ﴿ إنه من يتق ويصبر ﴾ أي إن الامر الواقع والحق الثابت باستقراء التجارب هو ما تنطق به هذه القضية : من يتق الله فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما جرت به سننه في الاجتماع البشري، ويصبر على ما أصابه من المصائب والمحن وفتن الشهوات والاهواء حتى يبلغ الكتاب أجله فيها فلا يستعجل الاقدار بشيء منها قبل أوانه ﴿ فان الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ بل يوفيهم أجورهم في الدنيا ثم في الآخرة ، علق الجزاء على الاحسان في الاعمال فوضع الظاهر موضع

الضمير ، فلم يقل لا يضيع أجرهم لأنه تعليق على الوصف الجامع الذي هو علته ، وبيان للقاعدة العامة في السنة الالهية فيه ، وتواضع في وضع التعريض بنفسه في موضع التصريح بأنه كان عليه السلام كذلك في تقوى الله العامة ، وفي الصبر على الشدائد المرهقة ، وعن الشهوات الفاتنة ، ولا غرو فقد شهد له ربه بأنه من المحسنين ، وفي الآية تذكير بأن من لم يكن من المتقين الصابرين ، بأن كان من المطيعين للنفس الامارة بالسوء ، والمتبعين لنزغات الشيطان ، فان عاقبتهم الذل والخزي في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وأشد وأبقى ، إلا من تاب وعمل صالحا ثم اهتدى

٩١ ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أي اختارك وفضلك علينا في كل شيء من خلق وخلق وعلم وعمل وجزاء واحسان يدل على هذا العموم السكوت عن متعلق الايثار والعلم بأنه الحق الواقع بالفعل ﴿ وإن كنا لخاطئين ﴾ أي والحال ان شأننا معك هو أنا كنا مذنبين متعمدين للخطيئة لاعذر لنا فيها عند الله ولا عند الناس . أصل الإيثار التفضيل بالآثار ، وهي ما يؤثر ويروى من الفضل أو ما يظهر أثره أو يبقى ، والخاطىء فاعل الخطء (بالكسر) وهو الذنب . قال في المصباح : والخطأ مهموز بفتحتين ويقصر ويمد وهو اسم من أخطأ فهو مخطىء ، قال أبو عبيد خطىء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد ، وقال غيره خطىء في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد ، وقيل خطىء إذا تعمد ما نهى الله عنه فهو خاطىء ، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار الى غيره ، فان أراد غير الصواب وفعله ، قيل قصده أو تعمده ، والخطء الذنب تسمية بالمصدر وخطأته بالتثقيل قلت له أخطأت أو جعلته مخطئا ، وأخطأه الحق إذا بعد عنه ، وأخطأه السهم تجاوزه ولم يصبه ، وتخفيف الرباعي جائز اه

٩٢ ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم ﴾ أي لا محل لأي شيء من اللوم والتعنيف عليكم في هذا اليوم الذي هو مظنته فانني أعده يوم عفو وسماح وعيد ، ودخول في عصر جديد ، قال في المصباح : ثرب عليه من باب ضرب عتب ولام ، وثرب (بالتشديد) مبالغة وتكثير . ونقل بعض المفسرين عن ثعلب : ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه ،

قال ابن الانباري قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب ، وقال تبع :

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

ولكن يوسف عليه السلام عفا عنهم عفو غير مثرب وتركهم لمغفرة الله تعالى

وعفوه ورحمته فقال بعد نفي جنس التثريب ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ دعا لهم بان يغفر الله لهم خطاياهم معه إذ غفر هو لهم والله أولى وأحق بالمغفرة وهو أرحم الراحمين من الاقربين وغيرهم، والاصل في الدعاء أن يكون بفعل المستقبل وإنما يذكر بالفعل الماضي للتفاؤل، ويحتمل أن يتعلق الظرف (اليوم) بالدعاء على سبيل البشارة، وقد تمثل النبي (ص) بالآية يوم الفتح فروي عنه أنه طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال «ماذا تقولون أو ماذا تظنون؟» قالوا نقول خيرا ونظن خيرا : ابن اخ وابن عم كريم ، وفي رواية حليم رحيم، فقال «أقول كما قال أخي يوسف (لاتثريب عليكم) الآية ، فخرجوا كأنما نشروا من القبور » أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وأبو الشيخ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقد كانت أخلاقه ﷺ أكرم وأحلم وأسمح وأسجح فان قومه أخرجوه (نفوه) وقاتلوه لاجل دينه وعذبوا ضعفاء أتباعه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وكان له بحسب نظام الحرب المتبع عندهم وعند غيرهم أن يقتلهم تقتيلا أو يتخذهم عبيدا

٩٣ ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ وأشار الى قميص كان على بدنه أو بيده ﴿ فألقوه على وجه أبي ﴾ عند وصولكم اليه بلا تأخير ﴿ يأت بصيراً ﴾ أي يصر بصيراً في الحال أو يعود ويرتد بصيراً . هذا مايدل عليه عطف هذه الجملة الشرطية بالفاء. وسأتكلم على ما قيل في القميص وسبب تأثيره . ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ من الرجال والنساء والذراري لاجل الاقامة عندي في جواري آمنين

(٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٥) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا

أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

---

٩٤ ﴿ ولما فصلت العير ﴾ أي انفصلت عير بني يعقوب من عريش مصر أو حدودها قافلة الى أرض الشام ، يقال فصل من البلد وانفصل منه ﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضره وكان عنده من أحفاده وغيرهم ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ في نفحة طيبة هبت علي من روحه أو أشم رائحة ذاته كما عرفتها في صغره ﴿ لولا أن تفندون ﴾ أي لولا تفنيدكم إياي أي نسبتي إلى الفند وهو بالتحريك فساد الرأي ، وضعف العقل والخرف من سوء الكبر ، لصدقتموني في أني أجد رائحته حقيقة غير متوهم وانه حي قد قرب موعد لقائه والتمتع بقربه ورؤيته، عن ابن عباس قال : لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف قال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون : تسفهون ، فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام ، وفي رواية من عشرة أيام وفي رواية ثمانين فرسخاً ، والمراد من مسافة بعيدة جداً اختلفت الاقوال فيها لتعذر العلم بتحديدها ، وصاحب الوجدان لا يبالي ما يقال فيه إلا مراعاة لحرمان العاذل من الشعور بمثله ، وعلمه بانه لو شعر لعذر وما عذل ، قال جرير بن عطية:

يا عاذلي دعا الملام وأقصرا طال الهوى واطلتما التفنيدا

٩٥ ﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ أي قال حاضروا مجلسه تالله إنك لفي خطئك الذي طال أمده في اعتقادك أن يوسف حي يرجى لقاؤه وقد قرب ، أو في الافراط في حبه والاصرار على اللهج به ، وتوهمك وجدان رائحته ، فالضلال يطلق على الخطأ في الطريق الحسي والمعنوي ومنه الخطأ في الرأي والاعتقاد والحب

والبغض والعمل ولا غرو فللخلي أن يقول في عذل الشجي مايشاء، فاذنه عن العذل صماء

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ملوتي عنكم احتمال بعيد وافتضاحي بكم ضلال قديم

كل من يدعي المحبة فيكم ثم يخشى الملام فهو مليم

٩٦ ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ وهو ابنه الذي يحمل القميص من يوسف، وعن ابن عباس والضحاك أنه البريد، ويتجه أن يكون قد سبق الميراليه بريداً وبشيرا ومن المعقول ما قيل من أنه هو الذي حمل اليه قميصه الملطخ بالدم الكذب تحرى ذلك ليمحو السيئة بالحسنة، قالوا وهو يهوذا، وهذا الرأي يحتاج الى رواية مثله في حسنه تؤيده، فمن أين جاء به مجاهد والسدي؟

﴿ ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ﴾ أي ألقى القميص على وجه يعقوب فعاد من فوره بصيرا كما كان، وزاد بعضهم انه عادت اليه سائر قواه، ولا غرو فالشفاء من الامراض وتجدد قوى الارواح والابدان بتأثير السرور العظيم غير منكر عند الاطباء ولا في تجارب الناس، فما القول بتجارب الانبياء والاصفياء، وبما يزاد لهم بعناية الله من خوارق العادات، والآيات البينات، ورووا انه سأل البشير عن دين يوسف فيما هو فيه من زينة الملك وعظمته؟ فقال الاسلام. قال الآن تمت النعمة!! وأقول إن مخترع هذا السؤال لقليل العلم ضعيف الذوق، فلو كان يعقوب يخاف على دين يوسف فيشك فيه لما كان وجده به ما علمنا، وحزنه عليه ما قرأنا وسمعنا، بل كان مؤمنا منذ قص عليه رؤياه بأن الله مجتبيه ومتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب به كما أتمها على أبويه من قبل ابراهيم واسحاق، فكيف يسأل عن دينه سؤال الشاك المرتاب، تأملوا كيف أجاب العاذلين بما كان عليه من العلم لا لهي القطعي؟!

﴿ قال إني أعلم من الله مالا تعلمون ﴾ فذكرهم الآن إذ عاد بصيرا بما قاله لهم حين ابيضت عيناه من الحزن وهو انه يعلم من أمر يوسف مالا يعلمون، وان علمه هذا وحي من الله عز وجل لا من خطرات الاوهام، ولا من أخيلة الحب والغرام، واننا في هذا المقام نبسط القول في وجدان يعقوب ريح ولدهمع التصريح

بأنه يكفي احدنا الايمان بظاهره من غير بحث عن حقيقته وصفة وقوعه، ومادام مصدقا للقرآن ، فهو في حظيرة أهل الايمان

﴿ بحث في وجدان يعقوب رائحة يوسف والوجوه فيها ﴾

قد ثبت عند علماء الغرب في هذا العصر ان الرياح تحمل الغبار وما فيه من المواد المختلفة من أفريقية الى أوربة مثلا في مسافات أبعد مما بين مصر وأرض كنعان من بلاد الشام العليا (فلسطين) وهي تحمل رائحة ماله رائحة منها بالطبع، ولكن الغرابة في شم البشر لها من مسافة بعيدة كهذه ، وبعض الحيوان من الوحوش والحشرات أقوى وأبعد شما من الناس ؛ والروائح منها القوي والضعيف، ومن أضعفها رائحة جسم الانسان وعرقه وما يصيب ثوبه منها ، ومن الناس من يميز بين روائح الاسرة الواحدة بل الاخوة منهم ، ولكن مانحن فيه من خوارق العادات، وخواص عالم الغيب لاسنن المواد والاجسام، فقد قيل ان قميص يوسف هذا كان لجده ابراهيم ﷺ وان جبريل جاءه به من الجنة حين ألقي في النار فكانت عليه برداً وسلاما، وان الرائحة التي وجدها يعقوب هي رائحة الجنة ، والمعجزات لاتنكر على أهل هذا البيت المرحوم المبارك عليهم السلام ، ولكن أفرادها لاتثبت عند الناس إلا بدليل حسي أو بوحي إلهي ، والوحي يقول حكاية عن يعقوب إنه وجد ريح يوسف لا ريح الجنة من قميصه وانما ريح قميصه بالطبع ريح بدنه

وقد ثبت عند الروحانيين أن للارواح رائحة بل روائح مختلفة متفاوتة ، فللعصاة الفاسقين روائح خبيثة تنتشر في الهواء فتدنسه على الذين يشمونها من طاهري الارواح ، كاتنتشر فيه ميكروبات أنفاس المرضى فتفسده، يعرف هذا أطباء الاجسام، ويعرف ذلك أطباء الارواح ، قال بعضهم لمريده : قم يابني نستنشق نسيم الصباح قبل أن تدنسه أنفاس العصاة ، وقد جهل هذا أبو العتاهية إذ قال :

أحسن الله بنا أن المعاصي لا تفوح

فهي تفوح ولكن لايدرك رائحتها إلا بعض الافراد في بعض الاوقات ، وكذلك الروائح الذكية، للارواح الزكية ، انما تدرك في بعض الاحوال التي تغلب

فيها الروحانية، أو توجه الارادة، وقد يشمها غيرهم بتوجههم كما تواتر عن الشيخ علي العمري من معاصرينا وحكى الشيخ محيي الدين في الفتوحات أن الشيخ عبد القادر الجيلي كان يعرف الرجال - أي درجاتهم في المعرفة - بالشم، فجاءه محمد بن قائد وكان يظن ان له درجة عالية في المعرفة، فشمه عبد القادر فأنكره وقال له لا أعرفك! فملت همة ابن قائد حتى التحق بالافراد، وكان لشيخنا الاستاذ الامام أخت روحانية فكانت تصعد الى سطح دارهم في محله نصر وتستنشق ريح أخيها وهو في الازهر وتعرف في بعض الاحيان من رائحته أنه خرج من مصر قاصداً بلدهم فتخبر به فتصدق. أخبرني شيخنا بهذا وقلما كان يتحدث بمثله الى أحد من أصحابه لأن رأيه أنه لا ينبغي التحدث بذلك إلا لاهله أو من لا يفتتن به، فان من الناس من يكذب هذا وكل ما هو غير طبيعي معتاد من أمور الناس، ومنهم من يصدق كل مايسمعه منه وأكثره دعاوي باطلة وخرافات تستغل وتستثمر، إذ يظن مصدقوها ان أصحابها أولياء قديسون، وانهم يضرون وينفعون، فتفسد عقائدهم بجعلهم شركاء لله في التصرف في العالم بما هو مخالف للسنن العامة في الاسباب والمسببات

فأنا أكتب هذا لتعليل آية الله لهذين النبيين عليهما السلام بشيء هو من سنة الله في بعض الروحانيين، مع اتقاء الكذب عليهم وعلى الله بدعوى خاصة بعالم الغيب لم يثبت بها النقل الصحيح، اعني قولهم ان القميص من الجنة الخ

(فان قيل) عهدناك مفسرا تجمع بين نصوص الوحي وقضايا العقل وتجارب العلم، فهل تقول إذن إن الآية تثبت أن للارواح رائحة قد تشم من المسافات البعيدة كبعد أرض مصر من أرض كنعان في فلسطين وانه يجب علينا دينا أن نؤمن بهذا؟ أم ماذا يجب علينا اعتماده في الآية

(قلت) إن نص الآية أن يعقوب عليه السلام أخبر عن نفسه أنه وجد رائحة ولده يوسف لما فصلت العير من أرض مصر، وهذا أمر وجداني نفسي لا يجب على كل مؤمن أن يعرف كنهه أو سببه، وإنما علينا أن نصدقه لانه معصوم من الكذب وقد تبين صدقه بالفعل، وفي العبارة وجوه ونظريات تختلف باختلاف الافكار والتربية والتعليم وهي أربع :

(١) إذا صور ذلك أحد المفكرين الذين تغلب عليهم الافكار المادية بأنه لشدة تفكره في أمر ولده وتذكره لرائحته حين كان يضمه ويشمه شعر بتلك الرائحة قد عادت له سيرتها الاولى ، كان مصدقاله في أمر لا يعارضه العقل ولا ينقضه العلم ، وإن كان هذا الشعور من النوع الذي يسمونه بالوهم ، ولكنه يكون ميلا عن التفويض الى التأويل لحالة بشرية لا لصفة من صفات الله تعالى فتأويله لاخطر فيه

(٢) إذا قال المؤمن بالظواهر من غير تعليل لها ولا تصوير لكيفيتها انني أصدقه ولا يكلفني ديني أن أعرف كيف وجد تلك الرائحة لان هذه المدارك الوجدانية كثيرة يظهر منها في كل زمن ما يعجز العلماء الباحثون عن معرفة سببه فضلا عن كنهه — لم يكن هذا القائل بعيدا في إيمانه هذا عن العقل ولا عن العلم ، فلا خلاف بين العلماء بأن ما يجهله الباحثون أضعاف مايعرفونه ، وهو أقرب الى الصواب ممن قبله لانه مفوض لا متأول أو مؤول ، على أن التأويل لصفات الله تعالى هو المخالف لهدي السلف وبليه أخبار عالم الغيب ، لا التأويل لوجدان فيما يحتمل أن يكون من شئون البشر

(٣) إذا ذهب اللغوي البياني الى أن هذه الجملة استعارة أو كناية عبر بها نبي الله عن وجدانه وشعوره بقرب لقاء ابنه المحبوب حتى كأنه حاضر يشم رائحته لم يكن بعيداً — فان بلغاء العرب يعبرون عن الشيء بلازمه ويشبهون المعاني النفسية بالمدركات الحسية وعكسه، ومنه: اننا نشم من هذا الكلام رائحة الاعتزال، وهذا كلام ليس فيه رائحة الاخلاص ، ومن أبلغ ماسمع في هذا الباب قول امرأة كعب بن الاشراف له : انني اسمع صوتا يقطر منه الدم ، أي يدل على قصد الاغتيال . وليس هذا من تأويل المتكلمين الذي هو خروج عن الظاهر لمانع يمنع منه

(٤) إذا جنح الصوفي لقول الروحانيين إن وجدان هذه الريح كان من مدارك الروح الخاصة ، — لم يكن جانحا الى محال في نظر العقل ، ولا ناكبا عن أصل قطعي من أصول العلم ، فان الذين يثبتون ذلك من كبار العلماء والصوفية أجدر بالثقة في النقل من الذين يثبتون في هذا العصر غرائب التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح وقراءة الافكار ومراسلتها ، فهذا وسط بين المصدق المفوض

في الخبر من غير تعليل ، وبين الذي يذهب فيه إلى ماتقدم من تأويل ،وأما من وقع له مثله من خصائص الارواح فهو عنده من عين اليقين ودونه علم اليقين ولكنه خاص بصاحبه،اذ لا يدركه الا مثله ولولا ذلك لعد من الحسيات العادية

(فان قيل) علمنا من هذا التفصيل أن المؤمن بالقرآن يجب عليه في هذه المسألة أن يعتقد أن يعقوب عليه السلام كان صادقا فيما أخبر به عن وجدانه ولا يضره ترجيح وجه من الوجوه الاربعة في فهمها ،ويظهر انك ترجح الاخير منها فما وجه هذا الترجيح ؟

(قلت) المتبادر من الآية أن فيها خصوصية تنظم هذا الوجدان في سلك خوارق العادات، والاصل في مثل ذلك أن يفوض كنهه أو كيفيته الى من وقع له من الانبياء مادام ممكنا ، إلا من اتفق له ادراك جنس هذه الكيفية وعلم أنها من السنن الروحية كابراء المسيح للاكمة والابرص باذن الله لا كمعجزة العصا واليد لموسى عليهما السلام . وإني خبرت هذا الوجدان نفسه بنفسي ، وأدركت رائحة الارواح الطيبة كأنني أشمها بأنفي ،ولولا انها حالة خاصة لما قلت كأني ، وكنت فيه دقيق البحث لئلا أكون واهما أو مخدوعا ، وطالما ظننت فيما كان منه مشتركا بين جماعة أن الذي يعقد رابطة التوجه بينهم وبين الروح الذي يذكر اسم صاحبه — وهو كستحضر الروح عند الافرنج — أنه يلقي رائحة عطرية غريبة الذكاء بينهم،حتى صرت أجد ذلك خاليا و كان يكون متقطعا ، وكنت أتردد قبل ذلك في أخبار من لا أتهمهم بالكذب فيها ، ولا أرى بسط ذلك في التفسير وقد ذكرت شيئا منه في غيره (ككتاب المنار والازهر) ولولا أن هذه المسائل الروحية قد كثر البحث عنها في هذا العهد عند علماء الغرب لما تعرضت لها فرارا من فتون أكثر أهل بلادنا بل الشرق كله بكل ماهو مخالف للسنن العامة

(فان قيل) ان الذين يعنون باستحضار الارواح لم ينقل عنهم أنهم يشمون لها رائحة

(قلت) لم يثبت عن هؤلاء احضار روح عالية قدسية وإن الراجح عندي فيما يصح عندهم أنه من تمثيل الجن لهم لامن أرواح البشر ، وأن الصوفية من

المسلمين والهنود يتمثل لهم الجنسان ، ولا يميز بينهما إلا الانبياء وعلماء القرآن والسنة من "صالحين، وأن ماوجده يعقوب كان من توجه روح يوسف له عند ماأذن له أن يتعرف اليه بالروح قبل الجسد ،وكان في وجدانه ريحه على علم من الله تعالى لا من خيال الوهم ولا من ضلال الشيطان،

(فان قيل) أليس من ثبت عنه انه يرى الارواح العالية ويشم ريحها ويسمع كلامها يكون وليا صاحب كرامات يرجى نفعه ويخشى ضره بما هو وراء الاسباب والسنن العامة ؟ أو يؤخذ كلامه في العلم والدين بالقبول والتسليم ؟

(قلت) لا لا ، إن من يقع له إدراك شيء مما ذكر إنما يقع له بسبب من الرياضة الخاصة ، وقد يقع له الخطأ فيه والوهم،وقد يكون ماجهله من جنسه أكثر مما يعلمه،دع ماليس من جنسه كالعلوم التي لاتعرف إلا بالتلقين،ثم انه لا يمكن أن يكون قادرا على نفع الناس أو ضرهم من غير طريق الاسباب العامة ، ولا يوثق بعلمه في الدين إلا إذا كان مستمداً من الكتاب والسنة ، وقد فصلنا هذا مراراً ،فمثل الذي يقف على حقيقة روحية بتأثير الرياضة الخاصة في نفسه كمثل الذي يقف على بعض الحقائق من طريق البحث الحسي والعقلي فهم فيهما سواء ، والولاية الشرعية انما تكون بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله والتزامهما بالعمل والاخلاق ، مع الصدق والاخلاص، فتأمل هذه المسائل فانها تحل لك كثيرا من المشاكل ،وانت حر في قبولها وردها

٩٧ ﴿ قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴾ أي قال أولاده وكانوا قد وصلوا في إثر البشير أو معه وانما تقدمهم استعجالا لنعمة البشارة وما يتبعها من ارتداد البصر وغيره من السرور والنشاط والعافية : ياأبانا اسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا الكثيرة التي اقترفناها من عقوقك وايذاء أخينا أو أخوينا ﴿ إنا كنا خاطئين ﴾ متعمدين لهذه الخطيئة عاصين لله بها ظانين أن نكون بعدها قوما صالحين ، اعترفوا له بذنوبهم كما اعترفوا ليوسف ،ولكن يوسف بادر الى الاستغفار لهم وهم لم يطلبوه منه ،واسمع ما كان جواب أبيهم

٩٨ ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربي ﴾ وعدهم باستغفار ربه لهم في المستقبل

المبهم وعلله بقوله ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ فكرر اسم الرب مضافا اليه ووصفه بالمغفرة والرحمة الواسعة التي لا ينقطع منها رجاء المؤمن وان أساء وظلم، فالفرق بين جوابه وجواب يوسف من وجوه اقتضتها الحكمة

(الاول) ان حال يوسف معهم حال الحاكم القادر بل الملك القاهر مع المسيء اليه الضعيف لديه، الذي كبرت اساءته فاستحيا من طلب غفرانها بشفاعته ودعائه ، فتبرع لهم به تأمينا لهم من خوف الانتقام وكان قادرا عليه ، وتعجيلا لهم بسرور الحياة الجديدة التي جعل الله أزمة نعمها بيديه ، وليعوا ويرى الناس فضل العفو عند القدرة ، والمثل الاعلى في حسن الاسوة ، وما يجب ان يكون عليه الاخوة ، وهو الجزاء بالاحسان على الاساءة ، فهذه أفضل تربية وأكمل عبرة من الاخ الكامل لاخيه الناقص ، ولو أخر هذا لكان تأخيره ضربا من الانتقام منهم ، اذ يكونون في وجل مما سيحل بهم

(الثاني) ان حال أبيهم معهم حال المربي المرشد للمذنب الذي لا يخشى منه انتقاما ، وليس من حسن التربية ان يريهم أن ذنبهم هين لديه ، وانه ليس بينهم وبين شفاعته لهم عند الله بغفرانه الا كلمة يقولونها بألسنتهم

(الثالث) أن ذنبهم لم يكن موجها اليه بالذات وانما كان موجها الى يوسف وأخيه بالذات وأصابه هو بالعرض أو بالتبع واللزوم ، ومن العدل أن يكون استغفاره لهم بعد العلم بحالهم معهما وعفوهما عنهم ، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره لهم

(الرابع) ان هذا الذنب الكبير من الآثام التي طال عليها العهد ونشأ منها ما نشأ من الضرر لا تغفر بحسب شرع الله وسنته في تأثير الاعمال في الانفس الا بتوبة نصوح تطهر النفس من خبثها ، فلا يحسن من المرشد الحكيم أن يسارع الى الاستغفار لمقترفها عقب طلبه متصلابه كأنها من اللمم ، الذي يغفر ببادرة من الندم ، فكان من حكمة هذا الاب الحكيم الرحيم أن يتمكث في الاستغفار لهم الى أجل مجهول ليعلم هو ذلك كله ، وأن يعلمهم بانه سوف يتوجه به الى ربه الذي

رباه بفضله ورحمته ، وأعاد لفظ الرب مضافا اليه لاشعارهم أن هذه الاضافة هي محل الرجاء في الاستجابة له ان يغفر خطاياهم ، وإنما مغفرتها سترها ومحوظلمتها من قلوبهم ، بعد جعل توبتهم التي يشبه ان تكون اضطرارية توبة نصوحا

ولا ينافي هذه المعاني والحكم التي من الله علينا بفهمها وبيانها ما روي عن ابن مسعود موقوفا وابن عباس موقوفا ومرفوعا من انه اخرهم إلى السحر لان دعاء السحر مستجاب، وفي رواية عن الثاني انه اخرهم حتى تأتي ليلة الجمعة ، بل يؤيده لانه لم يتحر وقت الرجاء في الاستجابة وان تأخر على اقتضاء رحمته الوالدية التعجيل الا لأن الامر جالل يتعارض فيه الخوف والرجاء . وقد ذكر العماد ابن كثير في تفسيره وتاريخه عن ابن جرير حديث ليلة الجمعة بسنده وقال : وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه، والاشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس (رض) ولا يصح شيء مما روي في دعاء يعقوب لهم وحده ولا مع يوسف وفيما أوحى اليه من استجابته تعالى له فيهم وجعلهم في ديوان الانبياء

خاتمة قصة يوسف عليه السلام في تأويل رؤياه

وما فهمه أبوه منها

(٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

ههنا كلام يدل عليه السياق بالاجمال حذف إيجازاً على منهج القرآن في الاقتصار على ما فيه العبرة المرادة من الكلام ، والمعنى أن إخوة يوسف بلغوا أباهم وسائر أهلهم مكانة يوسف في مصر وأنه هو الحاكم المفوض المستقل في أمرها (ديكتاتور) من قبل ملكها ، وأنه محبوب مجمع على إجلاله فيها ، وأنه يدعوهم كلهم للاقامة معه فيها والتمتع بحضارتها، فرحلوا بقضهم وقضيضهم، وإنعامهم ودوابهم ، حتى بلغوها واستقبلوا فيها بما يليق بمقامه

٩٩ ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ﴾ ظاهر العبارة أن أمه كانت لا تزال حية ، وقال الذين أخذوا بقول اليهود إنها كانت قد ماتت : إن المراد بأبويه والده وخالته وقد كان أبوه تزوجها بعد أمه ، وهذا جائز في اللغة إن صح الخبر ونحن لا ثقة لنا بصحته فنأخذ بظاهر الآية دون غيره كما قال ابن جرير الطبري (رح) ومعنى إيوائهما إليه ضمهما الى نفسه، وجعله إياهما معه في قصره، وهو مأواه الخاص به ﴿ وقال ادخلوا مصر ﴾ أي وقال لسائر أهله ومن معهم ادخلوا مصر قال ابن عباس معناه أقيموا فيها ، إذ كانوا قد دخلوها فكان الأمر بدخولها عبارة عن الاذن باستيطانها، وقيل إن يوسف استقبلهم في الطريق احتفاء بهم فقال لهم ذلك في مكان الاستقبال أو عند الوصول الى العاصمة ﴿ إن شاء الله آمنين ﴾ على أنفسكم ومواشيكم من المنع المعتاد للغرباء ، أو من الجوع والهلاك فان سني القحط لم تكن انتهت بعد ، والتعليق بمشيئته تعالى هو شأن المؤمنين ولا سيما الانبياء والصديقين، فيوسف في إسداء هذه النعمة إلى أهله يتبرأ من مشيئته وحوله وقوته إلى مشيئة الله الذي سخره لهم وسخر ملك مصر وأهلها له ثم لهم

وفي سفر التكوين أن يوسف (ع . م) عرف نفسه الى اخوته عقب مجيئهم ببنيامين شقيقه، وأرسلهم لاستحضار أبيهم وأهلهم فجاؤا فأقطعهم أرض جاسان (وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبو زعبل الى البحر الاحمر) وأرسل اليهم العربات لتحملهم، وأحمال الغذاء والثياب على الحمير، فلما وصلوا اليها (٤٦: ٢٩ شد يوسف على مركبته وصعد ليلاقي امرائيل أباه في جاسان فلما ظهر

له ألقى بنفسه على عنقه وبكى على عنقه طويلا ثم استأذنهم ليذهب الى فرعون ويخبره بمجيئهم ومكانهم ليقرهم عليه لانهم رعاة وأرض جاسان خصبة ، ففعل ثم أخذ وفداً منهم لمقابلة فرعون وأدخل أباه عليه فبارك فرعون ، فيظهر أن هذا اللقاء كان هو الاول لهم ، ثم إنه بعد لقاء فرعون قال لهم (ادخلوا مصر) الخ ، ثم عاد بهم الى قصره الخاص

١٠٠ ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ أي أصعد أبويه إلى السرير الذي كان يجلس عليه لتدبير أمر الملك ، فالعرش كرسي تدبير الملك ، لا كل كرسي يجلس عليه الملك ﴿ وخروا له سجداً ﴾ أي وأهوى أبواه واخوته إلى الارض وخروا له سجدا ، وكان السجود تحية الملوك والعظماء في عصرهم حتى إن يعقوب سجد لاخيه عيسو حين تلاقيا بعد تفرق وكان يخاف عاقبة ذلك التلاقي كما تراه في سفر التكوين . والسجود ليس عبادة بذاته وإنما جعله الدين عبادة فهو يكون عبادة بالنية والتزام الصفة الشرعية فيه ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ أي إن هذا السجود منكما ومن إخوتي الاحد عشر هو المآل الذي آلت اليه رؤياي التي رأيتها من قبل في صغري إذ (رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ واقعا ولم تكن حديث نفس من أضغاث الاحلام ، فالكواكب الأحد عشر مثال إخوتي الاحد عشر ، وأنت وأمي مثال الشمس والقمر ، ولا غرو فهذه الاسرة هي التي أراد الله بها حفظ ذرية اسحاق بن ابراهيم لنشر دين التوحيد في العالمين فكانت خير أسر البشر ﴿ وقد أحسن بي ﴾ ربي : يقال أحسن به وأحسن اليه ﴿ إذ أخرجني من السجن ﴾ الى عرش الملك ، ذكر آخر المحن والفتن (البلاء والاختبار) المتصل بغاية النعم ، ومن العجب أن يستشكل المفسرون عدم ذكر الاخراج من الجب هنا ويبحثوا له عن علة ، وكان أول البلاء وقد خرج منه الى الرق وبيعه بثمن بخس ، وما اتصل به من تلك السلسلة الطويلة في الفتنة

﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ حيث كنتم تعيشون في شظف البادية وخشونتها ووحشيتها الى الحضر حيث تعيشون في نعم لاجتماع ونشر الدين الحق والتعاون على العلوم والصناعات ، فالبدو خلاف الحضر ومعناه الاشتقاقي كل مكان يبدو كل مايمن ويعرض فيه للانظار: من بدا يبدو إذا ظهر ظهوراً بيناء يقال بدي الى البادية بداوة (بالفتح والكسر) أي خرج فهو باد . ومنه (يودون لو أنهم بادون في الاعراب) وفيه تفضيل الحضارة على البداوة ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ أي أفسد ما بيننا من عاطفة الاخوة وقطع ما بيننا من صلة الرحم ووشيجة القربى باغراء الحسد وتهييج الشر : هـذا ما يدل عليه نزغ الشيطان فان أصل النزغ نخس الرائض الفرس ونحوه بالمهاز لازعاجه للجري ، يقال نزغه ونخسه ونسغه ، والعامة تقول نغزه : بقلب نزغه بمعنى طعنه بما يهيجه ويزعجه . قال في الاساس : ومن المجاز نزغه الشيطان كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي ،ونزغ بين الناس أفسد بينهم بالحث على الشر اه ولا يوجد في اللغة على سعتها تعبير ألطف وآدب وأدل على كمال التواضع من هذه العبارة الوجيزة: جعل ذلك النزغ المزعج إلى أجرأ الشر والافساد كأنه كان مشتركا بينه وبينهم تقع تبعته على كل منهما ،وما كان الا من جانب واحد،ثم قال ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء ﴾ أي بالغ أقصى اللطف بعباده في التدبير والرفق في التسخير لتنفيذ مايشاء في خلقه من الحكمة البالغة والوصول الى المقاصد الحسنة والغايات النبيلة ،بحيث لايشعر من لطف به عندوقوع الاسباب والوسائل بغايتها الا عند وصوله اليها ، فمن ذا الذي كان يخطر بباله أن الالقاء في الجب وما أعقبه من الرق، وما تلا الرق من فتنة العشق، يفضي الى السجن ، وان السجن ينتهي بالسيادة والملك ؟ ﴿ إنه هو العليم ﴾ بما لكل قدر من عمل،وما لكل عمل من أجل، ﴿ الحكيم ﴾ في بلوغ مشيئته في ذلك كله كمال المصلحة في جزاء الذين أحسنوا بالحسنى وجعل العاقبة للمتقين، فحمد يوسف لربه على لطفه في مشيئته، وعلمه وحكمته، من أجل الحمد والثناء، وناهيك بجعله مقدمة لما تلاه من الدعاء ،وهو

﴿ دعاء يوسف عليه السلام بحسن الخاتمة ﴾

(١٠١) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

تحول عليه السلام عن خطاب والده في بيان هذه العاقبة المثلى، في مقام الشكر لربه وحمده بما يناسب المقام من صفاته، الى مناجاة ربه في الاعتراف بها والشكر عليها، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة الى منتهى السعادة في الآخرة، لشعوره بأن ما خلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى فقال :

﴿ ١٠١ رب قد آتيتني من الملك ﴾ أقصى ما ينبغي لمثلي ويصلح له في غير قومه ووطنه، فجعلتني متصرفا في ملك مصر العظيم بالفعل، وإن كان لغيرى بالاسم والرسم، فكان تصرفي مرضياً له ولقومه، لم يرغ علي حسد حاسد ولا بغي باغ ماذقت مرارته بمجرد تصور وقوعه على تقدير صدق الرؤيا الدالة عليه ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ ما أعبر به عن مآل الحوادث ومصداق الرؤى الصحيحة فتقع كما قلت ﴿ أنت وليي ﴾ الذى توليت ولا تزال تتولى أموري كلها ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ لاحول لي في شيء منهما ولا قوة ﴿ توفني مسلماً ﴾ لك اذ تتوفاني بما تم لي وصية آبائي وأجدادي، وهي المشار اليها بقوله تعالى (٢: ١٣١ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب: يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ منهم واحشرني معهم، فهذا الدعاء العظيم، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم) أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام

فتاوى المنار

﴿ سؤالان عن الربا في دار الحرب وعن كون الاسلام دين سياسة ام لا ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في بنجر نقارا (جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ القدير السيد محمد رشيد رضا المحترم — أطال الله عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فان لمناركم الاغر مكانة في قلب كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبما كان للاسلام من مجد لعبت به الاهواء ، لا زال مناركم يرسل أشعته إلى أقصى بلاد الشرق والغرب ، ليستضيء بنوره من أضله الله وأعماه عن الحق

وبعد فأقدم لفضيلتكم سؤالين أيها البحر الزاخر علما مستفرحم الجواب عليهما على صفحات مجلتكم الغراء لتعم الفائدة والله ولي التوفيق

(١) إن الربا انتشر في أرض جاوا في هذه الايام انتشاراً لا عهد لنا به حتى إن بعض الاساتذة الذين كانوا في مقدمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمقاومين للربا خرجوا من المدارس وأصبحوا اليوم في مقدمة المرابين . فاذا سألناهم عن الدافع إلى هذا أجابونا بلسان واحد بأن صاحب المنار أفتى بجواز الربا على الافرنج ، وإذا رأينا أحدا يرابي على الوطنيين أجابنا بأن موظفي الحكومة لادينيين ، وأننا في دار حرب . وقد أفتى صاحب المنار بجواز الربا في دار الحرب ، فهل لما أشيع عن مناركم من صحة ؟ إذا قلتم نعم ، فستقفل الحوانيت ويقف دولاب تجارة العرب بجاوا ويتوجهون إلى الربا اعتماداً على فتواكم فما رأي فضيلتكم ؟ أرجو الجواب في أول عدد من مناركم ليحق الحق ويزهق الباطل (إن الباطل كان زهوقا)

(٢) هل الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

لان في أرض جاوا حزبين كبيرين متشاجرين أحدهما حزب المحمديين والآخر شركة إسلام اندونسيا وهذان الحزبان مع اتفاقهما في المبادىء السلفية مازالا مختلفين في هذا الامر

فالمحمديون يقولون بأن الدين الاسلامي ليس دين سياسة ولا يمنعنا عن الاشتراك مع الحكومة والتوظف بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الى آخر الآية ومدارسهم مرتبطة بوزارة المعارف . أما حزب شركة اسلام فانهم يقولون إن الدين الاسلامي دين سياسة ولا يسمح لنا بالتوظف في دائرة الحكومة والارتباط بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) الى آخر الآية

ويحتجون على حجج المحمديين بأن الله نهانا عن الذين قاتلونا في الدين ، والقتال يكون بالسيف أو بالضغط والارهاق والاضطهاد ومنع نشر الاسلام وفضائله، لهذا أرجو أن تشرحوا لنا الحق في هذا الامر لعل الله يهدي الفريقين والذي مال عن الطريق السوي فيتفق الفريقان على نشر الاسلام ومبادىء السلف الصالح بدلا عن النزاع الذي لا نتيجة من ورائه إلا الاضمحلال

أرجو نشر الجواب في أول عدد من مناركم والسلام عليكم

من تلميذكم المخلص

أبو بكر بن سعيد باسلامة

﴿ جواب المنار ﴾

(١) أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب

إن ماتعنونه من إفتائي بحل أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب ليس كما ذكرتم أو نقلتم، وإنما هو جواب عن سؤال ورد على المنار من مدير جريدة الوفاق (سنغافورة) ونشر في (ج ٨ مجلد ٢٧) الذي صدر في ربيع الآخر سنة

١٣٤٦ » في فتوى بعض العلماء بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح »

هذا موضوع الاستفتاء ، والمستفتي فيه منكر له أشد الانكار كما هو مبين بنص كلامه في السؤال إذ جعل هذه الفتوى خطراً على التوحيد ومقتضية لتحليل جميع المحرمات . وقد بينا في جوابه أصل الشريعة في إباحة أموال الحرب باجماع المسلمين وما قيد العلماء به عمومه . ولم يخالفنا أحد في ذلك فراجعوا فتوانا في (ص ٥٧٥ من مجلد المنار ٢٧) فن بقي في أنفسكم شبهة فيه فبينوه لنا . وقد كتبنا في آخره « ان تلك الفتوى لا خطر فيها على التوحيد ولا تقتضي تحريم شيء من المحرمات . ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعملن بها » اه

وجملة القول إنني ما أفتيت في شيء انفردت به في هذا الموضوع ، وان الذين زعمتم انهم يستحلون أخذ الربا من المسلمين بدعوى انهم « لا دينيين » أي كفار تعطيل وإباحة ، لا يمكنهم أن يدعوا ان صاحب المنار أفتى بتكفيرهم ولا بأخذ الربا منهم ، ولا بجملة حرفة المسلمين ، وانما يتبعون أهواءهم ، على أننا سنصدر ان شاء الله تعالى في هذا العام كتابنا في مباحث الربا والمعاملات المالية المصرية التي نشرناها في مجلدات المنار بعد تلك الفتوى فانتظروا فالمسألة ليست من البداهة بحيث يحررها المرابون والتجار ، وخطر الاستدانة من الافرنج بالربا أضعاف ما تتصورون من عكسه ، بل هو الذي جعل المسلمين افقر الشعوب ،

(٢) الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

ان قول حزب المحمديين ان الاسلام ليس دين سياسة خطأ ، وان استنباطهم من هذا القول ان الاسلام لا يمنعهم من الاشتراك مع الحكومة في وظائفها وأعمالها غريب فهو مبني على أصل فاسد ، ولو لم يكن الاسلام دين سياسة لكان منعه من الاشتراك مع غير المسلمين في أعمال حكومة غير اسلامية أشد وأقوى

وأما احتجاجهم بآيات سورة الممتحنة (لا ينهاكم الله ..) الخ فهو في غير محله فان موضوعها ان الاسلام لا ينهى أهله في داره عن البر والعدل في معاملة

الكفار غير المحاربين لهم في دينهم ووطنهم، وانما ينهاهم عن تولي المحاربين المنازعين لهم في دينهم ووطنهم، والمراد بتوليهم مساعدتهم على اعمالهم الحربية وكل ما فيه جعل السلطان والقوة لهم على المسلمين. فإذا كان جعل مدارسهم تابعة لمدارس الحكومة غير الاسلامية يضر الذين يتعلمون فيها بافساد عقائدهم وأخلاقهم ودينهم أو يؤيد سلطانهم عليهم تكون تابعيتها لها مما نهى الله عنه من توليهم سواء سمي الاسلام سياسيا أم لا، فإن الحكم منوط بنص القرآن لا بتسمية الدين سياسيا أو عدمه، وإذا كان ذلك نافعا للمسلمين يحفظ حقوقهم ويمنع أو يخفف الأذى الذي يقع عليهم فانه لا يكون محرما، وقد يكون بمقتضي السياسة الاسلامية مستحبا أو واجبا، فهؤلاء أحوج الى اثبات كون الاسلام دينا سياسيا فيما يعملونه ويطلبونه

وأما قول «حزب شركة اسلام» ان دين الاسلام دين سياسي فهو لا يبيح لهم التوظف في مصالح حكومة بلادهم غير الاسلامية فأصله هو الصحيح، وما بني عليه من الحكم ففيه نظر ظاهر فإن سياسة الملة والامة ليست منصوصة في الكتاب والسنة بعبارات جلية يفهمها كل أحد أو يقدر كل أحد على استنباطها من النص — وإنما أساسها المصلحة العامة وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، وأقوم وسائلها التشاور بين أهل الحل والعقد من عقلاء علماء الامة بمصالحها لا علماء الاصطلاحات الفقهية وحدها، ألم تر كيف كان سياسي الخلفاء الراشدين بل إمام سياسة الاسلام لاعظم عمر بن الخطاب يختار أمراءه من دهاة الاذكياء، لا من عباد الفقهاء.

وأظهر قواعد أئمة الفقه فيها قاعدة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى المأخوذة من سياسة السنة وسيرة الخلفاء الراشدين وهي ان احكام العبادات تبنى على العمل بظواهر نصوص الكتاب والسنة. واحكام السياسة والمعاملات الدنيوية تبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد دون ظواهر النصوص فان تعارضا يؤول النص لمراعاة المصلحة

وعندنا من تجربة الشعوب الاسلامية في ذلك ما وقع لمسلمي الهند مع الدولة الانكليزية فقد كان المسلمون هم حكام الهند فسلبت هذه الدولة منهم

الحكم بجملتهم ، فظنوا ان دينهم يوجب عليهم عداوتها عداوة سلبية بأن يجتنبوا مشاركتها في شيء من اعمال الحكومة الادارية والقضائية وان يجتنبوا تعلم لغتها وعلومها فكانت عاقبة ذلك أن أضاعوا ثروتهم وقوتهم فصاروا أفقر من الوثنيين والبرس (أي الفرس) وأضعف ، فهل هذا مقتضى السياسة الاسلامية التي تحفظ بها مصالح الاسلام والمسلمين ؟؟ كلا إن المسألة أكبر مما فهمه هؤلاء وأولئك فيجب درسها وتمحيصها على الجامعين بين معرفة نصوص الشرع وحكمه ومعرفة شئون العصر على الاساس الذي وضعناه لهم

﴿ الربا والزكاة والضرائب ودار الحرب ﴾

(س ٥ — ٧) من صاحب الامضاء في بيروت

لصاحب الفضيلة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا منشي مجلة (المنار) المعظم . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد أرجوكم أن تتفضلوا بنشر أسئلتي المحررة ادناه مع الاجابة عليها في (المنار) وتكرموا بقبول خالص الشكر ومزيد الاحترام .

(١) هل يجوز شرعا وضع مال في احد المصارف الاجنبية واخذ ربا عنه ودفعه (أي الربا) الى الحكومة عن الضرائب المتنوعة التي تفرضها وتجبر الناس على دفعها ؟

(٢) هل يجوز دفع الضرائب — كاعشار الزروع وغيرها — الى الحكومة من اموال الزكاة ؟

(٣) متى يدعى الاجنبي وامته (امة محاربة) بعرف الشرع ؟ وما هي (بلاد الحرب) ؟

احد قراء المنار
عزت المرادي

(المنار) هذه المسائل من متمات المسألة الأولى من مسائل استفتاء جاوه الذي قبله ، ونجيب عنها بالايجاز

(٥) أخذ الربح من المصارف الاجنبية

ان الربا المحرم قطعا لايحل إلا لضرورة يضطر صاحبها اليه اضطراراً كالاضطرار إلى أكل الميتة ولحم الخنزير، فهل الربح المسئول عنه كله من الربا القطعي؟ وهل دفع الضرائب الاجبارية من الضرورات الاضطرارية التي تبيحه؟ المشهور أن الربح الذي تعطيه المصارف لأصحاب الاموال هو حصص من الربح العام الذي تستغله منها. وهو أنواع أقلها ما هو من الربا الذي عرفه الامام أحمد وغيره من أئمة السلف — وقد سئل عن الربا الذي لا شك فيه فقال — هو أنه كان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل فاذا جاء الاجل ولم يكن عنده ما يقضي به زاده في المال وزاده صاحب المال في الاجل، وهذا بعض ربح المصارف المالية وليس منه ماتأخذه ولاما تعطيه لاصحاب سهامها ولا المودعين لاموالهم فيها، وأما كونه بعض مالها المحرم في الاسلام فمثله كثير من أموال الناس، والعبرة في مثله بصفة أخذه لا بأصله ولا سيما في هذا العصر الذي قلما يوجد فيه كسب يلتزم فيه الشرع في بلاد الاسلام فما القول في بلاد الافرنج ومستعمراتهم؟ فمن اعتقد مع هذا كله أنه من الربا المحرم لايجوز له أخذه لاجل أن يدفعه في الضرائب المحرمة — من باب دفع الفاسد بالفاسد — لأنه ليس ثمت ضرورة تبيح له ذلك. ومن اعتقد أنه غير ربا شرعي قطعي لم يحرم عليه، فان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما، واشترط الحنفية وجمهور السلف أن يكون بنص قطعي، بل قال أبو يوسف انه لا يقال في شيء انه حرام إلا إذا كان بينا في كتاب الله بغير تفسير — ومن كان عنده شبهة فيه دون التحريم كان دفعه في ضرائب الظلم الاجبارية أولى من دفع الاموال التي لا شبهة فيها. وقد بينا حكم الشبهات من قبل في مباحث الربا والمعاملات المالية التي تصدر في كتاب مستقل

(٦) دفع الضرائب من أموال الزكاة

أموال الزكاة المستحقة على صاحبها لايجوز دفعها إلا للاصناف التي بينها الله تعالى في آيتها المعروفة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وزكاة الزرع كالاعشار

إذا أخذتها الحكومة تسقط عن صاحب الزرع المستحقة عليه ولكن لا يسقط عنه زكاة النقدين بدفعها الى الحكومة أداء لضرائب الظلم . وفي هذا الباب مشكلات تختلف باختلاف الحكومات إسلامية وغير إسلامية

(٧) الامة المحاربة التي تسمى بلادها دار الحرب

دار الحرب مقابلة لدار الاسلام التي تكون فيها الحكومة الاسلامية التي تقيم أحكام الاسلام، فكل أمة أجنبية لا تعقد حكومتها مع الحكومة الاسلامية معاهدة على السلام والامان وعدم الاعتداء تكون أمة محاربة وتكون دارها دار حرب لان الحرب فيها عرضة للوقوع في كل وقت إذ لا عهد يمنعها ، وللفقهاء تعريف لها لوحظ فيها جريان الاحكام من الجانبين

عقد العلامة ابن مفلح الفقيه الحنبلي فصلا وجيزاً لهذه المسألة في كتابه (الآداب الشرعية) قال فيه ما نصه (ج ١ ص ٢١٣): فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الاسلام ، وان غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ولا دار لغيرهما . وقال الشيخ تقي الدين وسئل عن ماردين هل هي دار حرب أو دار إسلام؟ قال هي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار الاسلام التي يجري عليها أحكام الاسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار ، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويعامل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه ، والاول هو الذي ذكره القاضي والاصحاب والله أعلم . اه

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون «ودار الاسلام عندهم ما يجري فيه حكم إمام المسلمين من البلاد . ودار الحرب عندهم ما يجري فيه أمر رئيس الكفار (كلمة الكفار تشمل في الاصطلاح الشرعي غير المسلمين من كتابيين ووثنيين ومعطلة) من البلاد كما في الكافي ، وفي الزاهدي ان دار الاسلام ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ، ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين . ولا خلاف في أنه يصير دار الحرب دار إسلام باجراء بعض أحكام الاسلام فيها . وأما صيرورتها دار الحرب — نعوذ بالله — فعنده بشروط (أحدها) إجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم

الحاكم ولا يرجعون إلى قضاة المسلمين ، ولا يحكم بحكم من أحكام الاسلام - كما يأتي في الحرة - (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينها بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد منها (وثالثها) زوال الامان الاول أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمنا إلا بأمان الكفار (أي غير المسلمين) ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة قبل استيلاء الكفرة . وعندهما لا يشترط إلا الشرط الاول اه ويعني بقوله فعنده الامام أبا حنيفة وبقوله وعندهما أبا يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله

ولفقهاء المذاهب أقوال أخرى في دار الاسلام ودار الحرب وأحكامهما ، والاصل فيها ان دار الاسلام ما كان أهلها من المسلمين وغيرهم آمنين بسلطان الاسلام وحكمه العدل وجارية فيهم أحكامه، ودار الحرب ما كان امانها واحكامها بسلطان غير المسلمين وغير أحكام الاسلام سواء كانت بينهم حرب أم لا، فيدخل في دار الحرب ما كان حكامها من المعاهدين المسلمين ، ولهذه المسألة فروع مشكلة في هذا فان بعض البلاد التي تسمى حكومتها إسلامية لا تجري فيها الاحكام الاسلامية من حيث هي إسلامية بل لها تشريع وضعي مخالف للشرع الاسلامي يسمى باسم البلد أو القطر ويسمى رئيس حكومتها شارعا وتنفذ الاحكام باسمه بمعنى أنه هو الشارع والمنفذ لها بسلطانه واسمه ، لا بحكم الله واسمه ، ولا نخوض في بسط هذه المسائل

(ص٨ — ١٠) من صاحب الامضاء بدمشق « الشام »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامر قد أشكل علينا في بعض المسائل ولم نعثر على شيء منها ونريد منكم أن تبينوا أحكامها بالتفصيل التام ولم نر أحداً نعتمد بعد الله تعالى إلا جنابكم وهاهي الاسئلة

١ — ما حكم استعمال الذهب في الكتب الاسلامية وغيرها (أي تذهيب الكتاب في الكعب)

٢ — ماحكم طبع الكتب للاديان الباطلة وتجليدها

٣ — هل يجوز حفر الصليب على النحاس أو على الزنك وطبعها بالذهب على ظهر الكتاب . أفتونا وانشروها في صفحات مناركم الغراء ولكم الاجر والثواب على الله تعالى ودمتم للمسلمين ذخراً الداعي

محمد منصور نجاتي

(٨) تذهيب جلد الكتب

تزيين الكتب المجلدة بطبع أسمائها وأرقام عددها وغير ذلك من الزينة بالمادة الذهبية المعروفة عند المجلدين مباح لايدخل فيما نهى عنه النبي ﷺ من الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة ولا مما زيد على ذلك خاصا بالذهب كما بيناه من قبل مراراً في باب الفتاوى فلا نعيده

(٩) طبع كتب الاديان الباطلة وتجليد كتبها

نشر الاديان الباطلة والمساعدة عليه إقرار لها ومساعدة على الدعوة اليها أو معرفتها والاطمئنان بها فهو حرام على الاقل في حال إنكارها والبراءة منها، وأما الرضى بها واستحلال نشرها والمساعدة عليه فهو كفر

(١٠) حفر الصليب على النحاس أو الزنك وطبعه

الصليب شعار لدين غير الاسلام فلا ينبغي لمسلم أن يساعد أهله على إظهاره ولا أن يعارضهم فيه في دار الاسلام ولكن أهله قد يتخذونه علامة لبعض مصنوعاتهم وتجاراتهم فلايكون فيه إقرار لشيء من عقائد أهله ولا من عباداتهم ففي هذه الحالة لا بعد من يحفره في المعدن لاعلان تجاري مثلا موافقا لشيء من دين أهله ولا جانيا على دينه هو

حفلة الازهر بشيخه الاستاذ الاكبر

﴿الشيخ محمد مصطفى المراغي﴾

عزم جماعة من طبقات الامة العالية والوسطى إقامة حفلة تكريم عامة لشيخ الاسلام المراغي ابتهاجا بعودته إلى مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بعد فترة خمس سنين كادت تقضي على ما كان فيه من دين قويم وخلق كريم وعلم نافع، وتجعله بيئة دسائس ورياء وفتن وأهواء وخرافات ونزغات مادية، فكانت كسني يوسف السبع شدادا، وكان هذا العام بعودة المراغي كذلك العام الذي أغاث الله به الناس، ذاك العام كان غوثا من القحط والجدب الذي كاد يقضي على الحياة البدنية، وجاء هذا العام غوثا من الجهل وفساد الاخلاق الذي كاد يقضي على الحياة الدينية العلمية

وقد سعى الاستاذ لصرف الناس عن إقامة هذه الحفلة، زهدا منه في هذا الظهور والشهرة، بيد أن الازهر علماءه وطلابه لم يمتن لاستاذهم ورئيسهم صرفهم عن الانفراد بإقامة حفلة باسمهم خاصة بهم ورياسته عليهم إسلامية من أقوى دعائمها اتباع الاجماع وكانوا على التكريم مجمعين، والعلم باجماعهم كان نطقيا لا سكوتيا لانهم محصورون، فجمعوا النفقة المقدرة للاحتفال من أنفسهم بنظام اختياري عادل، واختاروا للاحتفال أفسح مكان في مصر وهو معرض الجمعية الزراعية الذي تعرض فيه نتائج زراعة القطر وصناعاته، فراعوا النظير بعرض نتائج العقول والفنون فيه ودعوا إلى حضوره ألوفا من رجال الطبقات العليا والوسطى وفي مقدمتهم أمراء البيت المالك والوزراء العاملون والقاعدون وكبار رجال القصر والدواوين، وممثلوا الدول الاسلامية السياسيين، ووضعوا من موائد الشاي وما يتبعه عادة من أنواع الحلوى والفطائر بضع المئين أو الالوف: منها ما وضع للمتعارفين من جمع القلة، ومنها ما وضع للمتجمعين من جمع الكثرة، ووضع للمحتفل به ولاعضاء لجنة الاحتفال مائدة في صدر المكان مزينة بالرياحين والازهار بجانب منبر الخطابة وبجانبه الآخر موائد الامراء والوزراء، وأمام موقف الخطابة آلة المذياع الكهربائي (الراديو) ووضع

في جو المكان أصوار أو أبواق متفرقة من مضخات الصوت لتسمع كل من فيه مايلقى على المنبر كأنه بجانبه .

وكان وراء هذا المجلس الفسيح الخاص بالمدعوين مجلس آخر للالوف المؤلفة من مجاوري الازهر وهم مع علمائهم أصحاب الدعوة، وقد جلسوا بترتيب ونظام تام كنظام الجيش الالماني

ولما كمل الجمع أقبل الشيخ الاكبر فانتصب القاعدون وقوفا إجلالا له وتكريما، وهتفت جيوش المجاورين دعاء وترحيبا ، ثم أديرت كئوس الشاي على جميع الموائد في وقت واحد ، وتلاها الطواف بأكواب شراب الليمون والبرتقال المثلوج ، بنظام دقيق سريع ، ولما فرغ الجموع مما لذ لهم وطاب أكلا وشربا افتتحت الحفلة بتلاوة أشهر القراء لآيات من الذكر الحكيم ، ثم نهض رئيس لجنة الاحتفال صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان فألقى خطبة الافتتاح ، وتلاه الخطباء والشعراء من علماء الازهر ونابغي طلابه ، وكان أولهم أشهر علماء الازهر في الخطابة الارتجالية والكتابة العصرية : صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني ، فبدأ خطبته بما يعهد به من مراعاة مقتضى الحال ، بصوته الجهوري المعتاد ، وما لبث أن هاجته ذكرى ما سامته المشيخة الساقطة من هضم ، وما أرهقته من عسر وظلم ، وما انقلب اليه بانقلابها من عزة وكرامة في وقفته هذه على أعين عظماء الامة ، ومرأى ومسمع من رجال الدولة ، فاذا به وقد غلبه على رأيه ورويته غاشية من مراقبة الله عز وجل شغلته عن المضي في خطبته بمداراة خشوعه ، وكفكفة دموعه ، فمكث هنيهة يستنجد قلبه ، ويستلهم ربه ، فألهمه حسن الخلاص بتوجيه التهنئة على هذه النعمة الى الامة لان ظفر الازهر ظفر لها ، وأن يكل أمر تكريم المراغي الى الله الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، ووضعه في الموضع اللائق به ، ومكنه من الاصلاح الذي خلق له ، وختم الخطبة بالدعاء لجلالة الملك وولي عهده

لا يتسع المنار لما تحيط به الصحف اليومية من وصف هذه الحفلة بالتفصيل ، ونشر ما ألقاه أعلام الازهر فيها من الخطب والقصائد ، وانما الواجب عليه أن يبدأ بنشر خطبة المحتفل به فهي أفصحها لفظا، وأبلغها معنى ، وأصحها بيانا لما ينويه من الاصلاح، على منهج المصلح الاول الاستاذ الامام قدس الله روحه ، وجعله خير خلف له ، فيما نوه به من رفع ذكره ، وتخليد حمده وشكره :

خطبة الاستاذ الاكبر

في حفلة تكريمه

حضرات السادة الاعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم ، في شعرهم ونثرهم ، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم

ويسهل علي قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف، واعتبارها كلها موجهة إلى الازهر الشريف، الذي تجلونه جميعا وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الاسلامية في مصر وغيرها من البلاد

وائن دل هذا الاجتماع بالقصد الاول على غرض التكريم فقد دل بالاشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم

دل على أن الازهر خرج عن عزلته التي طال أمدها، ونهض يشارك الامة في الحياة العامة وملابساتها، وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف، وطرائق

في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها . ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الازهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتم الامر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة ، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الازهر والازهريين ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الازهر العامة ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الاخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الاستاذ الامام (محمد عبده) قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة ، ومن الوفاء بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن الازهر أن نجعل لذكراه المكان الاول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التي نلجأ اليها اذا اشتد الظمأ ، والدوحة المباركة التي نأوي الى ظلها اذا قوي لفح الهجير

الازهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الاسلامي الذي أوجد أمما من العدم ، وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة ، وكان لهذا الاثر الضخم في الارض ، فهو يوحي بطبعه الى شيوخه وأبنائه واجبات انسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية ، يعدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس

اذا هم تهاونوا في أدائها ، وأنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم الا اذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته، وفهموا روح الاجماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه مما هو متصل بالدين، أصوله وفروعه، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم، وتمكنهم من نشر الثقافة الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طي مراحل السير في هدوء ونظام وجد ، وصدق نيـة ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله

وللمسلمين في الازهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها

أولا — تعليم الامم الاسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله، وقد كثر تطلع هذه الامم إلى الازهر في هذه الايام وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات، واشتد طلبها لعلماء الازهر يرحلون اليها لاداء أمانة الدين وهي بيانه ونشره

ثانيا — إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية، وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهوداً مضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على ان بعضها متصل بالآخر كما هو الحال في دراسة الازهر، فاذا وفق الله أهل الازهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة ـ أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإذ ذاك يكونون أداة اتصال

جيدة بين الحاضر والماضي، ويطلعون العالم على مايبهر الانظار من آثار الاقدمين وأعتقد أن التعليم الازهري على النحو الذي أشرت اليه هو الذي يرجى لتحقيق الامل وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله

ثالثا — عرض الاسلام على الامم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله، وخال مما أدخل عليه وزيد فيه، ومن الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا — العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها، فان الامة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقة، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق في أكثر الاوقات، وان بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لناصريها، ونشأت أهلها وخلقت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسي، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها، وهذه المذاهب فرقت الامة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعا في الاصول والفروع، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين، ونتج عنه سخف مثل مايقال في فروع الفقه الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنت الحنفي، ومثل مايرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف المنيف في التوسل والوسيلة، وعذبات العمائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لانشاء مساجد خاصة

من الخير والحق أن نتدارك هذا وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير، لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة، دراسة من شأنها أن تقوي الرابطة بين العبد وربه، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشا

باشا للحق، مستعداً لقبوله، عاطفا على اخوانه في الانسانيـة، كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين،

قد أتهم بأني تخيلت فخلت، ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود، ولفت النظر اليها، وفضل الله واسع، وقدرته شاملة، وما ذلك على الله بعزيز

الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين في الازهر، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الازهر ليس هين الحمل، فانه في حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون إما بالمال أو العقل، أو بالمعارف والتجارب، وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هـذه الآمال، هين اذا أنتج المجهود بهـذه الثمرات الطيبة المباركة

أيها السادة:

أكرر لكم شكري وأبعث من هذا المكان وفي هذا الجمع المبارك تحية الازهر إلى العالم الاسلامي وإلى دور العلم ومعاهده. وأتشرف برفع ولاء الازهر إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الاول وصاحب الفضل العميم في الازهر في العصر الحديث، أدام الله عزه ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي العهد المحبوب. والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان ﴾

رئيس لجنة الاحتفال

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أصحاب السمو . . .

حضرات أصحاب الدولة والمعالي . .

حضرات السادة . .

أحييكم أطيب تحية . . وأشكر لكم أصدق الشكر تلبيتكم دعوتنا، فقد برهنتم بذلك على ما للازهر من المنزلة الرفيعة في نفوسكم، والمكانة السامية في

قلوبكم ، وضاعفتم معنى التكريم الذي أراده الازهريون لشيخهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى . إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الاسلامية الذي يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى ، الذي يحيطه المصريون بمظاهر الاحترام والاجلال ، ويتوجه اليه المسلمون في شؤون دينهم بأسمى الامال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلة في صفوة أولي الرأي من رجالها تعرف ما للاستاذ المراغى من أياد بيضاء على التعليم الدينى ، وجهود بارزة في سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها ، وإني باسم الازهر وباسم لجنة الاحتفال التي شرفتني برياستها أرحب بكم وأحيي من قلبي تلك الرابطة الوثيقة التي تربط الازهر بهذا الوطن العزيز وبالعالم الاسلامى أجمع وأحيي هذا الشعور النبيـل الذى يتجلى نحو هذا المعهد الديني الاكبر في جميع المناسبات

حضرات السادة :

أنشىء الجامع الازهر من نحو ألف عام وتاريخه في هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الاسلامى ، اذ كان هو مصدر العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها (١) ثم طرأت بعد ذلك طوارىء كان من أثرها هذا التحول في الحياة العامة ، وفي أساليب التعليم واتجاهاته ، وزخر تيار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحمت الازهر بما لها من قوة الشيء الجديد ، وكاد الازهر وسط هذا التطور العام ينفصل عن البيئة المصرية وتصبح تعاليمه السمحة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطناً مستقلا في قلب هذا الوطن ، وكادت فائدته تخفى على بعض الناس ، وشعر الازهريون أنفسهم أنهم يبتعدون عن شعب مهمتهم الكبرى إرشاده وهدايته ، وينفصلون عن مجتمع عملهم في الحياة تهذيبه وتثقيفه ، وإذ ذاك لاحت

١» في هذه الدعوى غلو وشطط وقد أشرنا الى الحق في موضوعه في كتاب «المنار والازهر»

بارقة أمل خلال جهود المصلحين في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم فتوجهت عنايته السامية الى اصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا ، فوضعت له الانظمة واللوائح الحالية ، وقسمت الدراسات العالية فيه الى كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الاسلامية والعربية . على نمط جامعي، خشي معه بعض الناس أن يتحول الازهر عن تقاليده ومميزاته الى نظام المدارس المدنية، لكنهم مالبثوا أن شهدوا معجزة الازهر تبرز امام العيون واضحة جلية فاذا العلوم والفنون الازهرية التي استقرت في كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة بطابع الازهر في دقة البحث. وعمق التحليل واذا أساتذة العلوم المستحدثة في النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة في كلياته بجانب شيوخه . واذا عقول الطلاب تتسع للجديد الطريف وللقديم العتيد في ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الازهر يسترد زعامته الادبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد استمدت حياتها منه

والاستاذ المراغي في تأسيس هذا النظام عظيم الفضل ولجهوده كبير الأثر في تكوينه

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بعدي تفصيل الكلام على فضل الاستاذ الاكبر وجليل أعماله وأختم كلمتي بالتوجه الي الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وجميل رعايته، وأضرع اليه جل شأنه أن يهب الاستاذ الاكبر التوفيق في عمله، ويرزقه السداد والحزم في رأيه ليحقق بالازهر وفي لازهر ماينشده العالم الاسلامى من اصلاح بفضل مايسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الازهر من عطف وعناية

ادام الله جلالة الملك ذخراً للوطن العزيز ممتعاً بالصحة الكاملة وابقاه حاميا للعلم والدين وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد آمين

باب الرســـــائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة خطابه في حفلة التكريم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

لله أنت فيما ملكت من القلوب ، وما منحت من التوفيق ، وما ألقي اليك من مقاليد الامم الاسلامية وتربية ناشئتهم وكهولهم وشيوخهم ، فالله حسبك ونعم المعين

يعلم فضيلة أستاذنا الاكبر أن قلوبنا بحبه خافقة ، وعيوننا اليه شاخصة ، وأكفنا بالضراعة إلى الله بتأييده منبسطة ، نطلب اليه تعالى دوام توفيقكم ، وإطالة عهدكم ، والبركة في عمركم حتى تجددوا للامة الاسلامية شبابها ، وتعيدوا اليها مجدها ، لكي تتبوأ في مشرق الكرامة مكانها ، وتلقي اليها الدنيا بزمامها فتعيدها سيرتها الاولى ، فقديما أشرق نور الاسلام وارتفع به صوت الداعي ، والامم من ظلمات الجهالة في تداع ، طمست البدع المعالم ، وتنافست الامم في المظالم ، فهامت في أودية الضلال (ومن يضلل الله فما له من هاد)

والآن وقد دار الفلك دورته ، لقد أرسلك الله في الناس داعيا إلى الصراط المستقيم ، هاديا من طغت عليهم أوشاب المدنيـة الحديثة الى تفهم روح الدين الصحيح تحقيقا لقول الرسول ﷺ مامعناه « إن الله ليبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » وان الامة لتصيخ لقوالكم وتتهافت على إرشادكم فما من خطة تختطونها ، أو حكمة ترسلونها ، إلا هبطت علينا هبوط الماء على الظمآن ، والأمن والسكينة على الخائف اللهفان

سيدي الاستاذ الاكبر : إن أحب الامور إلى قلوبنا العمل على وحدة الدين

والقضاء على تلك الفروق الخيالية ، والعصبيات المذهبية ، فتلك من وساوس الشيطان للإنسان ، حتى انتهى الامر بنا إلى ماأشرتم اليه فضيلتكم في خطابكم البليغ في حفلة التكريم «من أن ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، وما نرى من تعدد صلاة الجماعة في المسجد الواحد ، وما نسمع من الخلاف في التوسل والوسيلة ، وعذبات وطول اللحى ، حتى أن بعض الطوائف لا تستحيي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة»

نعم لا يستحيون لانه « لا حياء في الدين » إننا وأيم الله ياسيدي الاستاذ نرى هذا يقلوبنا ونحسه بعيوننا ويحز في نفوسنا ، وما شيء أحب الينا من جمع كلمة المسلمين والقضاء على أسباب التفرقة بينهم ، وليس وراء قوله تعالى مزدجر (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

هذا بيت الداء ، وأنتم أنتم أخبر بالدواء ، هاهي (ذي) الامة ألقت اليكم قيادها وها أنتم (أولاء) وضعتم يدكم المباركة على سكان السفينة لتقودوها إلى شاطىء السلامة إنه لا شيء أغلى وأعز من الدين «دينك دينك إنما هو لحمك ودمك » ألا وان الدين قد ذهب ، ألا وإنه لم يبق منه إلا الصلاة كما أخبر الصادق المصدوق « آخر مايبقى من دينكم الصلاة فمن ضيعها فقد كفر » ألا واننا قد أضعنا الصلاة ، ومن أداها فقشر ظاهر لا لب فيه ، ألا وان البدع تفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، هذه البدع عمت المساجد وتخللت الصلاة ، وإني لا إخال فضيلتكم إلا ذاكرين ماحدث من ابن عمر رضي الله عنه ففي المأثور عنه انه كان سائراً بالكوفة فمر على مسجد وسمع المؤذن ينادي بالصلاة فدخل وأخذ يركع تحية المسجد ، فلما فرغ المؤذن من الاذان ورأى بعض الناس خارج المسجد وقف ببابه وقال : حضرت الصلاة يرحمكم الله ، فعلم ابن عمر رضي الله عنه وخف وأخذ حذاءه وانصرف

من المسجد تاركا صلاة الجماعة، قائلا: والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة. رحم الله ابن عمر ماذا كان يبدي ويعيد لو بعث اليوم ورأى صلاتنا؟

سيدي الاجل: ليت الامر وقف عند ابتداع البدع في المساجد والصلاة وما يسبقها ويلحقها ولم يمس جوهر الصلاة، ولم يهدم أركانها هدما، ويطمس معالمها طمسا: تقصير مخل، نقر كنقر الغراب، يسرقون من صلاتهم فهم أسوأ الناس سرقة. هذه منكرات يجب على من رآها أن يزيلها فان لم يستطع فليزل عنها

هذا ما حمل بعض المتمسكين بدينهم على الفرار بصلاتهم إلى مسجد من أرض الله يقيمون فيه الصلاة: الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ ثم قال «صلوا كما رأيتموني أصلي» وكقوله للرجل الذي صلى بين يديه مرات «ارجع فصل فانك لم تصل» فقال الرجل في الثالثة: والذي بعثك بالحق لا أحسن غيرها فعلمني.. فعلمه فالمسيء صلاته شر من تارك الصلاة، إذ تارك الصلاة معترف بتقصيره عالم أنه ظالم لنفسه فترجى له التوبة والانابة ويحظى بالمغفرة (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) أما المسيء صلاته والمدخل فيها البدع فانه يعتقد عن جهل انه يتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال وأحبها اليه، غافلا عن إساءته فيها وضلال سعيه فأنى ترجى توبته من عمل هو في نظره خير الاعمال؟ فيبقى كذلك حتى يلقى الله تعالى وقد خسر عمله (قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فان لم يشملهم النص فلا يعدوهم الوعيد

ان الصلاة لو أديت على وجهها المشروع كان لها السلطان الاكبر على النفوس ورقتها وهذبتها ووقتها شر الهلع والجزع، وأعدتها للقيام بجلائل الاعمال والتحلي بجميل الخصال، والمثابرة في سبيل الحقوق المشروعة على النضال، وجعلت كل مصل ينصف أخاه من نفسه، ويعمل لغده ويحاسب نفسه على أمسه: بهذا تقل

الجرائم ويغلق باب السجن ويستريح القاضي ،ويكون الدين بحق مستودع القوة التي ترهب الاشرار وتصد غارة الاشقياء ، وتجعل الناس يحافظون على حقوق بعضهم البعض ، ولا يحتاج الامر الى قانون المراقبين والمشبوهين ، إذ الكل يشعر بمراقبة العلي الكبير ، فيحافظون على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، وينقرض الفساد ،وتسود الطمأنينة البلاد(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

والمأمول من فضيلتكم أن تبينوا كتابة وبواسطة الوعاظ والمرشدين: حقيقة الصلاة وما يجب أن تكون عليه الجماعات في المساجد وأئمتها ورؤساؤها وما يجب عليهم من رعايتها وتطهيرها من مفاسد البدع ، ومن الادعية المبتدعة ، واللغو والتشويش على المصلين فيها

انك ياسيدي إن عملت ذلك -وأنت خير من يعمل— قدمت الى الله يوم الدين بخير زاد (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

فالامر الآن بين يديك ولا سلطان في الدين لأحد عليك ،وما المرء بمستطيع في كل حال أن يقوم بجلائل الاعمال : فأئمة المساجد ورؤساؤها هم رعاتها «وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته» (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

أحمد محمد شهاب

رئيس نقطة ضبط الخنار بوليس المنيا

تفسير المنار

الجزء الثاني عشر

للسيد الامام محمد رشيد رضا رضي الله عنه

يحزنني أن أقرظ هذا الجزء ونحن في مأتم السيد رشيد رضا ، ولا نزال مأخوذين بدهشة الخبر ، وكأننا في حلم مفزع لا أمام حقيقة صادعة ، ولا أمام جرائد تفيض جداولها بالنعي والتأبين ، ولا بين معزين من مختلف الطبقات يذرفون الدمع الهتون ، ويتوجعون لمصيبة المسلمين بفقد الراحل الكريم ، ويتحدثون عن الفراغ الذي تركه ، وأنهم لايجدون من يملؤه ، فقد كان السيد الامام رحمه الله ملء السمع والبصر ، وكان الحجة الثبت ، والمفزع الذي تطمئن اليه النفوس الشاردة من وساوسها ، وتهدأ به القلوب الواجفة مما يحيك فيها ، فتجد برد اليقين وتشعر ببشاشة الايمان ، يحزنني ان أقدم للامة الاسلامية هذا الجزء من التفسير وأنا في هذه الحالة النفسية التي لم أرها من قبل ، على كثرة النوازل والفواجع ، ولكن كل المصائب تهون وتتضاءل أمام مصيبتنا في الراحل العزيز أحسن الله نزله ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وبعد : فتفسير المنار أشهر من الشمس ، وأبين من فلق الصبح ، يعلن عن نفسه بنفسه ، وقد قرظه العلماء والفضلاء في الشرق والغرب ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، واتخذوه مرجعا لهم ، بل استغنوا به عن كل التفاسير التي تقتنى ، وهو الآن عمدة المحققين من علماء الازهر وغيرهم ،

ولست الآن بصدد الكلام على مزاياه ومجموعة ماانفرد به عن كل كتب

(التفسير) فذلك له مقام آخر ، غير ان الذي أريد أن أعجل للقراء به ونحن في هذه المحنة القاسية أن أذكر لهم بعض ما امتاز به الجزء الثاني عشر ، وهو آخر الاجزاء التي أنجز طبعها السيد المبرور أحسن الله جزاءه ، ورفع في الجنة درجته فقد امتاز هذا الجزء على صغر حجمه بالنسبة لسوابقه بتحقيقات انفرد بها، كالكلام على حكمة التحدي بالسورة الواحدة وبالعشر ، وهنا يفيض السيد إفاضة يتجلى فيها روح الالهام الصحيح ، والنظر الصادق ، فترى من التحقيقات في الموضوع مالا ترى في كتاب آخر ، فاذا أنت انتقلت إلى آية الطوفان (وقيل ياأرض ابلعي ماءك ، وياسماء أقلعي ، وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) أطلعك على ما في الآية من بلاغة روحية تهتز لها النفس وتلمس بصدق جانب الاعجاز في الآية الكريمة، ويبطل عجبك من تأثير القرآن في نفوس العرب ، ذلك التأثير العجيب الذي بدلهم في سرعة لم يعهد لها نظير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ورفعهم من الحضيض الاوهد إلى الذروة فكانوا مشاعيل الهداية ، ومعلمي الامم ، وقادة الشعوب بالحق والعدل والعلم ، نعم يبطل عجبك فالقوم كانوا مرهفي الحس ، سليمي الذوق، وكانت اللغة لغتهم، وهم أعلم بمرامي الكلام ووقعه وتأثيره ، فلا عجب أن كانت هذه البلاغة العالية الاخاذة تأخذ بمجامع قلوبهم، وتأطرهم على الايمان أطراً، فاستمع اليه — أثابه الله يقول —

ما أفظع هذا المنظر ! ما أشد هوله ! ما أعظم روعته ! ماء ينهمر من آفاق السماء انهماراً ، وأرض تتفجر عيونا خوارة فتفيض مدراراً ، ماء ثجاج ، يصير بحراً ذا أمواج، خفيت من تحته الارض بجبالها، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها وكانت عليه هذه السفينة كما كان عرش الله على الماء في بدء التكوين ، كأن ملك الله الارضي قد انحصر فيها، فتخيل أنك ناظر اليها كما صورها لك التنزيل، تتفكر فيما يئول اليه أمر هذا الخطب الجليل ، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم ، أوجز

عبارة وأبلغها تأثيراً ، جمعات أعظم مافي العالم كأن لم يكن شيئا مذكوراً إلى أن يقول: قرر علماء البلاغة الفنية ان هذه الآية أبلغ آية في الكتاب العزيز أحاطت بالبلاغة من جميع جوانبها وأرجائها اللفظية والمعنوية التي وضعت لفلسفتها الفنون الثلاثة : المعاني والبيان والبديع

وإن مثل هذا التفاضل بين الآيات الذي يقتضيه الحال والمقام لاينافي بلوغ كل آية في موضعها وموضوعها درجة الاعجاز ، ولا يعد من التفاوت المعهود في كلام أشهر البلغاء كأبي تمام والمتنبي وكذا غيرهما من شعراء الجاهلية ومن بعدهم في الدرجات الثلاث العليا والسفلى وما بينهما، فآياته كلها في الدرجة العليا المعجزة للبشر، وإن كان لبعضها مزية على بعض كما تراه في تكرار القصة الواحدة من هذه القصص ، وقد بسطناه في تفسير آية التحدي « بعشر سور مثله مفتريات » من هذه السورة

مثل ذلك ما نراه من بلاغة هذه الآية في باب العبرة المقصودة بالذات من سياق هذه القصص كلها ، وهو فوق ما ذكروه من نكت الفنون فيها، وبيانه أن الله قد أنذر الظالمين وأوعدهم الهلاك في آيات كثيرة - ومنهم مكذبو الرسل عليهم السلام - كلها معجزة في بلاغتها ، ولكنك ترى في هذه الآية من تأثير تقبيح الظلم والوعيد عليه نوعا لاتجده في غيرها، لأن حادثة الطوفان أكبر حادث في الارض من مظاهر سخط الله تعالى على الظالمين ، وقد علم من أول القصة أنها عقاب للظالمين بيد أن إعادته في هذه الآية عقب تصوير حادثة الطوفان بارزة في أشد مظاهر هو لها ، وإشعار القلوب عظمة الجبار العزيز الحكيم في الفصل فيها بما تتلاقى فيه نهايتها ببدايتها والتعبير عن هذه النهاية بالدعاء على الظالمين بالبعد والطرد الذي يحتمل عدة معان مذمومة شرها الطرد من رحمة الله تعالى عثل لك هؤلاء الظالمين من قوم نوح بصورة تمثال من الخزي واللعن والرجس لاترى مثله في أمثالهم من أقوام الانبياء على ما تراه في التعبير عنها بالعبارات الرائعة في البلاغة

وعذب الاسلوب ، واحداثها الرعب في القلوب الخ ثم عقد فصلا بل فصولا في نهاية القصة كان أحدها للكلام على ما في الآية من بلاغة اصطلاحية ، وإن من يقرأ العبارتين يتجلى له الفرق بين البلاغتين ، هنا يشعر بأسلوب يهز أريحيته ، ويملك عليه وجدانه ، ويأخذ النفس من أقطارها ، وهناك تشغله العبارة والاصطلاحات الفنية عن المقصود من الآية وهو التأثير والعبرة ، وبهذا تعرف مبلغ أثر القرآن في نفوس العرب

وعلى الجملة لقد كتب السيد عدة كراسات في قصة نوح تصلح أن تكون رسالة وحدها، ولا سيما الفصل الذي عقده لبيان غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا مع ماختم به سورة هود من عقد خلاصة وافية لها ، وهي سنة انفرد بها المرحوم السيد وحده دون باقي المفسرين ، فقد جرت عادته أن يعقد خلاصة لكل سورة يبين فيها مجمل ما اشتملت عليه من الاحكام والحكم والسنن الالهية في الافراد والامم بأسلوب لا يتيسر لغيره

ومن مزايا هذا التفسير تحقيق الحق في مسألة الهم من سورة يوسف في قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) وهنا ترى في كتب التفسير خلطا وخبطا وحشوا من الاسرائيليات تنافي الذوق والعقل والشرع والنامة وترى السيد يجرد قلمه لدحض كل هذه الاقوال ، ويبين الحق فيها بيانا شافيا تطمئن إليه النفس كما جلى القصة للناس جلاء ظهرت فيه وجوه العبرة منها ونقاها من كل مادسته الاسرائيليات فيها ولذلك اقترح عليه الكثيرون من الافاضل طبع سورة يوسف على حدة وقد فعل — رحمه الله — وسيراها الناس قريبا إن شاء الله ، ولولا خوف الاطالة لنقلت إلى القراء نموذجا من تحقيقاته في سورة يوسف ليروا كيف يدرك المتأخر مالا يدرك المتقدم ، ولا سيما في كتاب الله الذي لا يتناهى إعجازه ، رحم الله السيد وأحسن عزاء الامة العربية والعالم الاسلامي فيه

عبد السميع البطل

نعي فقيد الاسلام والمسلمين

السيد الامام محمد رشيد رضا منشىء المنار رضى الله عنه

نَنْعَى إلى الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين غيرَ منازَع ، وأحذق الأئمة المحققين السابقين منهم واللاحقين غيرمدافع ، زعيم أهل السنة العالمين العاملين ، وأنفذهم بصيرة ، وأرسخهم عقيدة ، وألد خصوم البدعة وأبطشهم بها يداً وأثبتهم على قتالها قدما ، علم الهداية الخفاق ، وصوتها الرنان في الآفاق ، المتفاني في تحرير الشعوب الاسلامية لا من البدع والخرافات والاوهام والضلالات حَسْبُ ، بل منها ومن أغلال الاستعباد وقيود الاستبداد ، وأخلص المخلصين للاسلام والمسلمين ، وعمدة الداعين إلى هدي الرسول الامين محمد ﷺ السيد الامام محمد رشيد رضا رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة النعيم مستقره ومثواه آمين

اختاره الحي الباقي لجواره حوالي منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ ﻫ الموافق الثاني والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٥ ونعاه من عرف وفاته من أهله وأصدقائه إلى من لم يعرفها منهم في القاهرة والاقاليم المصرية والاقطار الاخرى ونعوه إلى الصحف ونعاه محط الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة في منتصف الساعة الثامنة مساء إلى من يبلغه صوته من سكان المعمور ، وصدرت الصحف هنا وهناك ناعية باكية مؤبنة مؤرخة ، وارتجت أنحاء القاهرة بهذا النعي وأقضت المضاجع فيها وانساب المعزون إلى دار المنار عدد ١٤ بشارع الانشا جنوبي وزارة المعارف مساء الخميس يوم الوفاة وصبيحة الجمعة التالية له حتى غصت بهم ساحة الدار والطريق الفسيحة أمامها .

وفي تمام الساعة العاشرة حمل النعش أبناء الفقيد في الهداية والعلم وساروا به وخلفه المشيعون وفيهم أقطاب العلم والادب في البلاد حتى مسجد السيدة الشامية بشارع نوبار حيث صلى عليه المصلون جما غفيرا ثم حمل على سيارة واستقلت جمهرة من المشيعين سيارات إلى مدفن أستاذه الامام الشيخ محمد عبده في مقابر المجاورين حيث دفن بجواره ، وأبنه على قبره ثلاثة من الحاضرين وهم آخرون بالتأبين ولكن رؤي أن الزمان والمكان لا يتسعان له فطلب الكف عنه إلى وقت آخر ، واستمر الناس يفدون على داره أياما للتعزية . وقد روعي في كل مراحل هـذا الخطب العظيم من ساعة الوفاة إلى نهاية التعزية السنة الشريفة النبوية . وقد نعى الفقيد بعض الاقطار الاسلامية على المآذن وصلى عليه كثير منها صلاة الغائب ولا سيما في المساجد الثلاثة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس

ولد السيد الامام رضي الله عنه في جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق اكتوبر سنة ١٨٦٥ م في قرية تسمى القلمون على شاطىء البحر الابيض المتوسط من جبل لبنان تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال حين كان جميع أهل هذه القرية من السادة الاشراف المتواتري النسب وقد اشتهروا إلى شرف النسب بشرف الحسب وحسن السيرة ويمتاز بيته الكريم فيهم بأنه بيت علم وارشاد وتقى ورياسة ، وبأنه معقد رجاء ذوي الحاجات ، ومحط رحال العلماء والادباء والحكام والعظماء ، ولذلك نشأ السيد الامام رضي الله عنه عالي النفس، كبير الهمة ، محبا للعلم والتقوى والصلاح ، ضاربا في هذا وذاك بسهام صائبات

تعلم في كتاب القرية قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب الاربع ثم أدخل المدرسة الرشيدية بمدينتهم طرابلس الشام وكان التدريس فيها باللغة التركية فأقام فيها سنة ثم انصرف عنها ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية التي كان

يديرها أحد الساعين لتأسيسها أستاذه العلامة الشيخ حسين الجسر الازهري رحمه الله ، ولما لم تقبل الحكومة العثمانية أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ألغيت وتفرق طلابها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم لطلب العلم في المدارس الدينية في طرابلس والفقيد منهم ، فجد في طلب العلوم الدينية والعربية والعقلية ووضع وتلقى على أقطابها وهم مشايخه حسين الجسر ومحمود نشابه وعبدالغني الرافعي هناك ، ولازم أستاذه الشيخ حسين الجسر دهراً طويلا حتى أتم دراسته وبرع في العلم والشعر والكتابة وكان في إبان طلبه العلم منصرفا إلى عبادة ربه داعياً إلى الاصلاح حتى علا في بلاده ذكره وضاقت به حريتها المخنوقة وميدان العلم والاصلاح فيها ، فهم بالاتصال بالسيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق الاول ولم يوفق فقدم مصر وفي اليوم التالي لقدومه اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حكيم الشرق الثاني وبقي ملازما له يأخذ عنه ما كان عنده وعند أستاذه من العلم والحكمة ووجوه الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وأصدر أول عدد من مجلة المنار في العشر الاخير من شوال سنة ١٣١٥ هـ — مارس سنة ١٨٩٧ م وأخذ ينشر فيه ماعنده وعند أستاذيه من علم وحكمة وهدى وإصلاح ويشد بذلك وبالكتابة في الصحف اليومية أزر أستاذه الامام في دعوته حتى اختاره الله لجواره وبقي هو وحده في الميدان بعد ذلك دهراً طويلا وفياً لأستاذه ولدعوته حتى اختاره الله هو الآخر لجواره رضي الله عنهم وأرضاهم بعد أن أصدر من مجلدات المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من الخامسة والثلاثين وعدة كتب من إنشائه وعدة كتب من إنشاء غيره من المصلحين

توفي السيد الامام أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان عن نحو اثنتين وسبعين سنة هجرية أو نحو سبعين سنة ميلادية قضاها إلا قليلا منها وهي

سنوات الطفولة في دراسة العلم ونشره بالكلام وبالكتابة لاسيما العلم بالكتاب والسنة وهدايتها وأحكامها وأسرارها وفي رياضة النفس على العمل بهما وعلى التحلي بالخلق الكريم الذي كان عليه جده الاعظم محمد رسول الله ﷺ وفي الدعوة إلى سبيل الله وإلى الاصلاح وفي محاربة أعداء الدين ورد الشبهات عنه حتى بلغ في كل هؤلاء الذروة والغارب وأصبح منقطع النظير لا يشق له في ميدان من ميادينها غبار ولا يدرك له فيها شأو

وإن أعجب لشيء فمجيء العظيم لآماله الكبار في إعزاز الاسلام والمسلمين التي لم تخمد لها لهب ولم يهمد لها جمر والتي شغلته المعركة وأنهكت قواه وأقامت العالم الاسلامي وأقعدته

وكان أكبر همه رضي الله عنه مصروفا إلى رد المسلمين إلى أصل دينهم وهو الكتاب والسنة وإلى تحريرهم من رق البدع والخرافات وحمايتهم من عقارب الفتن والشبهات وسل من أجل ذلك حساميه لسانه وقلمه وكلاهما أحد من الآخر وما زال يرمي البدع والخرافات والمشكلات والشبهات حتى أصاب منها الكلى والمفاصل وكاد يجهز عليها لانحراف المسلمين بها عن الدين ولأن هذا الانحراف أصل بلائهم وذلتهم واستعبادهم . وما كان رضي الله عنه يقنع بهذا — وفي هذا وحده الكفاية — بل كان يسعى ويجاهد ويشارك في تحرير الشعوب الاسلامية من الاستبداد قولا وكتابة وعملا

ومن أجل هذا وذاك هجر وطنه الشام إلى مصر وسافر إلى الاقطار الاسلامية الشاسعة الهند والعراق وتركية أوروبا وبلاد العرب بل وإلى أوروبا نفسها لدعوة علماء الاسلام وملوكه وأمرائه وزعمائه لما يعتقد أنه الحق ولمشاركته من كان على شاكلته منهم في السعي والجهاد لاحياء الاسلام والمسلمين

ومن أجل هذا وذاك كان رضي الله عنه مغتبطا كل الاغتباط بالمملكة

العربية السعودية لانها متوجهة حكومة وشعبا للعمل بالكتاب والسنة في الشؤون الدينية والدنيوية معاً منصرفة كل الانصراف عن المنكرات والبدع والخرافات وهو ما يريد أن يوجه العالم الاسلامي كله إليه ويصرفه عنه ولأنها تقيم الدليل الحسي العملي في هذا العصر المادي الطاغي على امكان حياة الامم حكومات وشعوبا بالكتاب والسنة حياة منزلية اجتماعية سياسية سعيدة وبذلك يثبت مايدعو اليه من أن القرآن الكريم وما يوافق روحه من السنة الصحيحة أصل لسعادة البشر في الدنيا كما أنه أصل لسعادتهم في الآخرة ، وكان لا يدخر جهدا ولا وقتا في تأييد هذه المملكة السعودية السعيدة ومحاربة خصومها بلسانه وقلمه ومساعيه الحميدة

ومن أجل هذا وذاك كان يحب آل سعود أعزهم الله وأيدهم بروح من عنده حبا جما ويتعهد للفرص التي يتمكن فيها من الاتصال بهم والافضاء اليهم بكل ما عنده من وجوه الاصلاح كل مرصد ويفترصها ولا يدع واحدة منها تفوته

ومن أجل هذا وذاك كان حريصاً كل الحرص على أن يحتفي بتكريم سمو الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية حين مروره بالديار المصرية عائدا من أوروبا إلى وطنه العزيز ويمضي معه أكثر أوقاته ويختلي به ليفضي إليه بما يجيش في صدره من وجوه الاصلاح

وكان الفقيد تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته مصابا في آخر أيام حياته بعلة تعرف في الطب الحديث « بضغط الدم » وكان يعلم علم اليقين أن خير وقاية تتقى بها أخطار هذه العلة اجتناب الاعمال العقلية والجسدية وكان مهدداً بفتكها به وقد جاءه نذيرها وكشر له عن نابه وألقى عليه إنذاراً مفزعاً وهو نوبة قاسية من نوباتها وحذره الطبيب شرها

وأشهد أني سألته في الاسابيع الاخيرة من حياته غير مرة عن صحته

سؤال محب مشفق يعرف هو مقاصده وأنه لا يخشى شيئاً خشية فقده فكنت أفهم منه أنه يجد في جسمه كله فتوراً وضعفاً وكان ذلك يقع من نفسي أسوأ وقع

وما كان يخفى على السيد الامام رضي الله عنه وهو حكيم من أرجح الحكماء عقلا وأبعدهم نظراً أنه يستهدف بالمتاعب العقلية والجسدية للخطر الاكبر وهو الموت الفجائي المقض لمضاجع الاحياء ، ولكن إيمانه الصادق الراسخ بالله سبحانه وتعالى — وما أصدق إيمانه وأرسخه — القائل وقوله الحق (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وتعطشه الشديد الدائم إلى بذر بذور الاصلاح وتعهدها دائماً بمدارسة أهل الاصلاح وولوعه الشديد بتأييد آل سعود كل هذا دفعه إلى بذل جهوده العقلية والجسدية بسخاء في الحفاوة بالامير سعود وفي مدارسته إياه شؤون الاصلاح حين مروره بالديار المصرية عائداً إلى وطنه العزيز ، ولم يستطع سمو الامير أعزه الله وأيد ملك والده بنصره المبين ولا بعض من معه أن يحملوا السيد الامام رضي الله عنه على القصد في الجهود التي بذلها على النحو الآتي :

استقبل سمو الامير على رصيف الميناء في الاسكندرية في منتصف الساعة الخامسة من مساء الاثنين الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٣٥ ساعة قدومه مصر من أوروبا ثم بات في الاسكندرية ورافق سمو الامير منها إلى بنها يوم الثلاثاء ١٣ منه وحضر فيها الحفلة التي أقامها لسمو الامير الكاتب البليغ والخطيب المصقع الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ثم عاد إلى القاهرة واستقبله في محطها في أواخر الساعة الحادية عشرة من مساء الاثنين التاسع عشر من أغسطس وكان المحط ساعتئذ غاصاً بالمستقبلين حتى لم يبق فيه موضع لقدم وانغمس السيد الامام في هذه الجموع المحتشدة مكرهاً وقد قال من رآه إنه تعب كثيراً وما كادت عين سمو الامير حفظه الله تقع عليه حتى أخذه من يده وسار به ولكن

الزحام غلبهما على أمرهما وحال بينهما وفي هذا ما لا يخفى من التعب والضرر اللذين تعرض لهما السيد الامام رحمه الله

وفي يوم الثلاثاء العشرين من أغسطس أخذ سمو الامير يستقبل المهنئين فسارع السيد الامام إلى تهنئته وتغدى معه ثم حضر الحفلة التي أقامها حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا لسمو الامير ودعا فيها سموه لزيارة دار المنار فتفضل باجابته الدعوة وزارها يوم الاربعاء ٢١ منه ، وكان السيد حريصا الحرص كله على أن يخلو بسمو الامير ساعة يفضي اليه فيها بأشياء في نفسه من شؤون الاصلاح فلم تتيسر له هذه الخلوة في دار المنار فاتفق هو وسموه فيها على أن تكون هذه الخلوة في « الذهبية » التي يقيم فيها سمو الامير في فجر يوم الخميس ٢٢ منه وهو يوم سفر الامير وعلى أن يرسل اليه سيارة تقله من دار المنار إلى الذهبية وكان الفجر يومئذ على الساعة الرابعة صباحا والادقيقتين ، فجاءته السيارة رحمه الله قبيل الفجر وهو يتنفل ثم استقلها إلى الذهبية وكان فيها مع سمو الامير الدكتور فؤاد سلطان عضو مجلس الادارة المنتدب ببنك مصر والسيد محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الخلوتية التفتازانية ثم حضر بعده الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ، فاختلى فيها السيد بالامير ساعة أفضى إليه فيها بما أراد وحينئذ استراح فؤاده وطابت نفسه وقرت عينه ولكنه أبى أن يقتصر في الحفاوة بالامير على هذا القدر المضني لأمثاله وهو في مثل حاله ولم ينم كثير ليلة الخميس وعزم أن يودع سمو الامير في السويس ولم يقبل رجاءه ولا رجاء بعض من معه في إعفائه من هذا العناء وذهب إلى السويس في سيارة مع الذاهبين وما أشق السفر بالسيارات ، فأقل مافيه من مشقة أن يبقى الراكب في السيارة قاعداً في وضع واحد لا يمكنه تغييره طول الطريق وما أطولها، ووقف على الرصيف يودع سمو الامير حيث أقلعت السفينة التي تقله وعاد أدراجه بالسيارة

إلى القاهرة من غير أن يلوي على شيء في السويس وذلك لأعمال بدار المنار لابد من انجازها

وبينما هو عائد يجتاز طريق السويس إلى القاهرة بالسيارة مع رفيقيه وهما ابراهيم أدهم بك زوج حماة سمو الامير فيصل بن جلالة الملك عبد العزيز سعود وهو تركي لا يحسن العربية وزكي أفندي محمد ثنيان شقيق حرم سمو الامير وهو شاب يافع وهو منصرف إلى تلاوة القرآن الكريم في المصحف كعادته في أواخر أيام حياته كلما خلا من عمل أو كلام نافع، إذ شعر وهو في السيارة بدوار فاستوقفها ونزل منها وقاء ثم ركبها وسارت الهوينى واستأذن زميليه أن يضطجع واضطجع وظنه رفيقاه نائماً فتركاه وقبيل أن يدركوا مصر الجديدة أرادا تنبيهه فاذا به جثة هامدة، فسارعا به إلى مركز الاسعاف بمصر الجديدة وهناك ثبت أنه رضي الله عنه قضى نحبه، فأحضر إلى داره وكان من أمر النعي والتشييع والدفن والتأبين والتعزية ما بيناه في صدر هذا المقال

***

وبعد فهل مات السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب المنار حقا؟ نعم مات إذ فارق روحه الطاهر جسده الشريف فأودع القبر هذا الجسد العزيز أما الروح فبقي معنا وسيبقى ما بقيت هذه الدنيا إن شاء الله تعالى، بقي روحه الطاهر متلألئاً باسماً في أكثر من أربعين مجلدة من مجلدات المنار وغيره من مؤلفاته وفيما اختاره وقام على طبعه وتصحيحه بنفسه من مؤلفات غيره الاحياء منهم والاموات وفي اخوانه وأبنائه الذين اقتبسوا من علمه واهتدوا بهديه وفي سيرته التي نسج فيها على منوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنه وعنهم أجمعين

**

فمن مجموع هذه الثروة التي تركها يمكن إن شاء الله تعالى أن يبقى المنار حيا يمثل السيد الامام رضي الله عنه ولو بعض التمثيل وينشر ولو بصيصا من النور الذي بعثه السيد رحمه الله إلى مشارق الارض ومغاربها ويستمد حياته ومادته من هذا المجموع ، والنية معقودة إن شاء الله على اصداره واستمراره

***

هذا ما وسعه المقام الآن من نعي السيد الامام رضي الله عنه وإن لهذا اليوم ما بعده وإن لنا لعوداً على بدء ، أحسن الله عزاء آل رضا وعزاء اخوانه وأبنائه وعزاء الاسلام والعالم الاسلامي فيه وأغدق عليه ما هو ان شاء الله تعالى أهل له من سحائب رحمته ورضوانه وجعله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

عبد الله أمين

« قلم التحرير » كتب حضرة العالم الاديب الكبير كلمته هذه من أكثر من ستة أشهر لتنشر في المنار ، وها قد صدق قوله الحسن وصدر المنار بعد استيفاء المعاملات الرسمية لاصداره ، والله نسأل أن يوفقنا للاستمرار في خدمة أثر فقيدنا وفقيد الاسلام والمسلمين

كلمة الاستاذ علوبة باشا

وزير المعارف

في مهرجان الاصلاح الاجتماعي

أقامت « رابطة الاصلاح الاجتماعي » مساء يوم الجمعة ٨ ذي القعدة مهرجانها في دار جمعية الشبان المسلمين برئاسة سعادة وزير المعارف الاستاذ محمد علي علوبة باشا ، وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم تقدم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز فشكر بالنيابة عن جمعية الشبان المسلمين لرابطة الاصلاح الاجتماعي عملها، وانتهز فرصة وجود سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وزير المعارف فشكر له حرصه على ترقية الشباب لانهم عمد الاصلاح ، وقال إن أس الاصلاح هو الخلق والدين ، ولا يصلح الشباب إلا بالخلق والدين ، وطلب من الوزير الجليل أن يجعل نظم التعليم مؤسسة على الدين والخلق ، ولا يتم إصلاح الا اذا تقرر الدين مادة أساسية في جميع مراحل التعليم ، وتمنى للوزارة النهوض على أساس الخلق والدين

فوقف سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وألقى الكلمة التالية :

اخواني : سادتي :

لم أجد فرقا بين اليوم والامس ، ولا أعرف لي وصفا الا اني محمد علي من قبل ومن بعد ، أضيف إلي اليوم تكليف في عنقي أرجو الله أن يوفقني للنهوض به ، ولقد دلتني التجارب والتاريخ قبل الاسلام وبعده على أنه لم ترق أمة بلا دين ، ولا فائدة من وطنية بلا دين ولا دين بلا وطنية

سادتي : صدق الشاعر الجاهلي الحكيم في قصيدته الخالدة إذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ما أصدق هذا القول على الامم والجماعات ، وما أصدقه على الافراد أيضا ، نعم على الافراد .

ولا عجب في ذلك ، فكما أن الامم لا سبيل إلى نجاحها واستقرار أمورها إذا اختلط فيها الحابل بالنابل ، وتنوسيت كفاية المستنيرين ، وكرامة الاكرمين ، فكذلك الافراد .

لا سبيل الى اسعادهم اذا سادت فيهم أحط غرائزهم فخذلت أسمى مواهبهم العقل سيد الملكات ، والخلق الفاضل سبيل السعادة ، فهما وحدهما الجديران بأن يسودا ويهيمنا على الانسان كما يجب أن يهيمن أشراف القوم ومفكروهم على عامتهم وسوادهم

ولا سبيل الى استقرار الامور في نصابها اذا اختلط الامر وترك الحبل على الغارب ، واستسلم كل انسان لأهوائه ونزعاته ، وتركها تستبد بخلقه وتطغى على عقله ، فان مآل ذلك الخسران المحقق والبوار الذي لاشك فيه

أيها السادة :

انكم تذكرون حكمة الرسول عليه صلوات الله وسلامه حين عاد من غزوة بدر الكبرى فقال لاصحابه قولته المأثورة « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » يعني من جهاد الغزو الى جهاد النفس ومغالبة أهوائها وكبح جماحها الثائر

وانا أذكركم بهذا لابين لكم الحافز القوي الذي يحفزنا الى تقديم هذا الواجب — واجب الاصلاح وتقويم الاخلاق — على كل واجب آخر

وما ذلك المهرجان الذي أقمناه بالامس في مؤتمر الشباب الاخلاقي لنصرة الخلق الفاضل القويم ، ولا هذا المهرجان الحاشد الذي نقيمه اليوم للاخذ بناصر الاصلاح والمصلحين ، الا مثلين من أمثلتنا التي أخذنا بها نفوسنا لنفع أمتنا وتسديد خطواتها في طريق السعادة الحقيقية والخير العميم

أيها السادة :

ان الاصلاح الاجتماعي غايتنا التي طوينا فيها أمانينا ، وعاقنا عليها كل ما نسعى الى تحقيقه في اسعاد الامة وإبلاغها أعلى درجات العزة والرفعة ، وان الدعاية للاخلاق الفاضلة لهي أهدى سبيل يصل بنا إلى تلك الغاية المنشودة التي تعلقت بها آمالنا ووقفت عليها جهودنا

على أن الطرق المؤدية إلى ذلك المقصد الشريف ، وتلك الغاية الموجودة لتختلف وإن كانت لا تتناقض ، والوسائل التي يتوسل بها المصلحون والدعاة إلى الاخلاق لتتعدد وإن كانت تجتمع آخر الامر وتأتلف تحت راية واحدة . فما أجدر الدعاة إلى الاخلاق والمصلحين أن يجتمعوا في أول الطريق صفا إلى صف ماداموا يعلمون علم اليقين أنهم متلاقون ومجتمعون آخر الامر في الغاية والهدف

لقد نشطت في هذه الايام جماعات من الشباب الناهض يروجون لأغراض اصلاحية شريفة بوسائل شريفة ، وأخذت تعقد اجتماعاتها في مختلف الاندية ، وتلقي خطبها في شتى المنابر ، وتنشر آراءها على صفحات الصحف ، وقد التفت الجمهور لها ، وأنصت لقولها . فأوشكت هذه الجماعات المتباينة أن تتبوأ مقاعدها اللائقة بشرف أغراضها ، ونبل مقاصدها ، ولقد ظللت أتتبع أخبار تلك الجماعات بعين الرضا ، ممكناً لها في أعماق قلبي أكبر الترحيب ، غير ضان عليها بكل ما أملك من جهد ، رغبة في تشجيعها وتقويتها ، مردداً قول شاعر انكليزي ساغه الاديب كامل كيلاني في شعر عربي :

قطرات المياه منها محيط وصغار الحصى تكون أرضا

ودقيقاتنا تؤلف جيلا بعد جيل في إثره يتقضى

وقليل الجنان والحب مما يجعل الارض جنة الخلد خفضا

ثم جعلت أنعم النظر وأطيل التأمل في هذه الجماعات المتشعبة التي اختلفت أسماؤها وأنصارها ، واتفقت أغراضها ووسائلها ، فوجدت أن لا مندوحة من تضافر هذه القوة المشتتة ، وتجمع تلك الروابط المتعددة لتنضوي جميعها تحت [illegible] واحد ، فيتكون منها اتحاد قوي يوحد طريقها ويلائم بين خطاها ، ويرسم لها أعلام الطريق وسواه فتمضي على اسم الله راشدة موفقة الى الخير

ولست أبغي بذلك أن تتفرق هذه الجماعات ثم تندمج في هيئة واحدة باسم واحد ، فان هذا الاندماج يحد من نشاطها الفردي ، ويفتر من عزيمتها ، ولكنني أريد أن يكون الاتحاد لها بمثابة الاب أو القائد الاعلى ، وتبقى هي على حالها ، فلكل جماعة نظامها ، ولها استقلالها ونشاطها

وان ذلك ليذكي في هذه الجمعيات روح التقدم والنجاح بفضل ما ينشأ بينها من التنافس والتسابق ، وهما دائما أكبر دواعي النشاط والاقدام، وأقوى مشجع على الاضطلاع بأنبل الفروض، وأعظم الواجبات

ذلك أيها السادة رأيي وتلك هي أمنيتي ، ولست أرى هذا اليوم السعيد الذي تتحقق فيه هذه الامنية ببعيد ، وما ذلك على اخلاص الشباب بعزيز

أيها السادة :

ان جميع الامم التي تقدمت في طريق الحضارة والحرية أشواطا بعيدة لم تصل الى ماوصلت اليه من الرفعة ، ولم تبلغ مابلغته من المجد الا بفضل نجاحها الاجتماعي الذي تأسس على قوى متينة من الاخلاق ، وارموا بانظاركم نحو أية أمة من كبريات الامم تروا أن التفاضل بينها وبين غيرها في القوة والمنعة يمشي جنبا الى جنب مع التفاضل في الرقي الاجتماعي ، فاذا كانت أمنيتنا أن ننهض بهذه الامة نهوضا حقا فلنا بالامم أسوة حسنة ، وماعلينا الا أن نسعى لاصلاح كياننا الاجتماعي اصلاحا تقر به عين الخلق القويم

أيها السادة : ان وجوه الاصلاح الاجتماعي شتى ، وليس من همي أن أفصل القول فيها تفصيلا بعد أن أجملته فقد قام بذلك حضرات الاماثل الاعلام الذين أخذوا على عاتقهم - متفضلين أن يحاضروكم الليلة في كثير من نواحي الاصلاح الاجتماعي ، وستكون هذه البحوث القيمة مع غيرها محل تمحيص وفحص لتكون نواة للنهضة التي نسعى لتحقيقها ما وسعنا الجهد

وقد عنيت في خطابي هذا أن أوجه أنظاركم الى وجوب تنظيم جمعيات الاصلاح التي نشطت في هذه الايام ووجوب اشتراك كبار القوم في العناية بها وتشجيعها والاخذ بناصرها حتى تؤتي أكلها وترجع على الامة بأبرك الثمرات

ويسرني أن لاأختم كلمتي قبل أن أشكر لحضراتكم تفضلكم باجابة دعوتنا لكم لحضور هذا المهرجان وأن أشكر حضرة الشاب النشيط سيد افندي مصطفى سكرتير رابطة الاصلاح الاجتماعي فلقد كان له أكبر الاثر في تهيئة هذا المهرجان والله أسأل أن يهبنا الرشاد في القول والعمل والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

رأيت أنه لابد من إصدار « المنار » ذلك الأثر الخالد الذي دوى صوته أربعين عاما في العالم مجاهداً في نشر الاصلاح ، ومحاربة البدع والخرافات . فتوكلت على الله وطلبت تجديد الرخصة باسم أكبر نجلي الفقيد « السيد محمد شفيع رضا » حرسه الله ، وبما أن سنه وشغله المدرسي لا يسمحان له بأن يكون رئيسا للتحرير مسئولا تقدمت أنا لهذا

وإني أعاهد الله سبحانه وتعالى أن أبذل ما أستطيع من مالي ووقتي في هذا العمل الجليل ، وأدعو محبي فقيدنا العزيز من اخوانه وتلاميذه ومريديه إلى شد أزري وارشادي ومعاضدتي كل بما يدخل في طاقته والله ولي التوفيق

ويرى القراء أن فقيدنا رضي الله عنه قد كتب أهم أبواب هذا العدد : التفسير والفتاوى فهما آخر ما خطه قلمه وسيرون في الاعداد القادمة كثيراً من مذكراته وآثاره

وإني لأشكر سعادة رجل مصر والاسلام محمد طلعت حرب باشا فانه حفظه الله قدم للمجلة مساعدة يشكر عليها

محيي الدين رضا

الوهابيون

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم(١)

همس في أذني بعض الحجاج المصريين ونحن في الباخرة «كوثر» في العام الماضي أثناء تأديتي فريضة الحج أن الوهابيين يمنعون الناس من الصلاة على النبي وإذا صلى أحدنا عليه أمامهم أنزلوا به عقابا شديداً . فقلت له هذا وهم يودإذاعته بعض رجال السوء من القائلين للوهابيين . فقال : بل هو عين الحقيقة وسترى الامر بنفسك

ولما قابلت جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في يوم ١٢ مارس الماضي لأول مرة وكان أحد العلماء يتلو على مسامعه تفسير القرآن فلما انتهى المفسر من التلاوة أخذ جلالته في سرد طائفة من فضائل الدين الاسلامي الحنيف وكان إذا ذكر النبي ﷺ يتبع اسمه بالصلاة عليه ولا يغفل عن الصلاة عليه مرة مطلقا

وقابلت بعد ذلك حضرة العالم النجدي المشهور الشيخ عبد الله بن بليهد فقدم إلي رسالة اسمها « جامع المسالك في أحكام المناسك » وضعها في مناسك الحج توزعها الحكومة مجانا كما توزع رسالة أخرى وضعها الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأشرف الشيخ ابن بليهد على طبعهما فتصفحت الرسالة الاولى فلحظت أن الشيخ ابن بليهد يلتزم ذكر الصلاة على النبي ﷺ في كل مرة يرد اسمه فيها فقلت له إن بعضهم يتهم الوهابيين باهمال الصلاة على النبي ﷺ ومع ذلك أراكم التزمتم إيراد الصلاة عليه في كل مرة يرد اسمه الشريف فيها بينما نرى غيركم لا يلتزم ذلك وبعضهم يضع حرف (ص) أو حروف (صلعم) فقال : إن وضع هذه الحروف قبيح والواجب أن يتبع اسم النبي بالصلاة عليه كما التزم ذلك العلماء الموثوق بهم وأورد أسماء طائفة من العلماء

(١) فصل من كتاب «رحلتي إلى الحجاز» بقلم محي الدين رضا وقد أتمت طبعه مطبعة المنار ويطلب من مكتبتها وثمنه خمسة قروش صاغ وعدد صفحاته ١٦٠ بقطع المنار

المتقدمين وما قالوه في هذا الباب مما لا يحضرني الآن لأنني أكتب هذه الكلمة بعد مضي نحو ثلاثة أشهر على المقابلة

ولما قابلت جلالة الملك في قصره بمكة في يوم ١٩ مارس الماضي مع وفد الصحافة وتحدثنا مع جلالته وكنت أطرح الاسئلة عليه . قلت لجلالته : انني ألحظ أنكم تصلون على النبي في كل مرة يرد ذكره فيها ومع ذلك نرى بعضهم يتهم الوهابيين بعدم الصلاة على النبي ، فقال جلالته :

هذا أمر غريب جداً ، كيف لا نصلي عليه ؟ ومن الذي نحبه بعد الله أكثر من نبينا ﷺ ، فوالله إنه أحب الينا من كل شيء ، وإنا نغار عليه وندافع عن دينه كما نغار على حريمنا وأكثر بل اننا نحب خلفاءه الراشدين ، ونحب كل خادم للاسلام ولا سيما الأئمة الاربعة ، ونحن طلاب حق نتبعه أينما وجدناه ونأخذ الصحيح في أي مذهب كان أو على يد أي عالم أتى به لا نفرق بين أحد، وها نحن نحب تفسير ابن كثير ونعنى به كثيراً وصاحبه شافعي ، واذا نحن جنحنا الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه فلأنه يعنى بحديث رسول الله ﷺ أكثر من غيره من الأئمة كما هو معلوم ، فهل بعد ذلك يقال عنا اننا لا نصلي على النبي ﷺ وهو الذي جاء بالدين الحق الذي ندين الله به ، وتوسع جلالته في ذلك كثيراً وكانت أمارات التأثر بادية على محياه بجلاء تام

وفي المدينة المنورة قابلت حضرة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم أمير المدينة ولحظت أنه يلتزم الصلاة على النبي أيضا فنوهت باتهام بعضهم الوهابيين بترك الصلاة عليه فانطلق يسفه مزاعم أولئك ويفصل القول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ، ومما قاله : اننا معشر الوهابيين نعتبر الصلاة والسلام عليه في الصلاة ركنا من أركان الصلاة لا تتم إلا به بينما بعض المذاهب لا يعتبرها ركنا، وهذه حجة دامغة للمزاعم الباطلة

فهذه أقوال ثلاثة من أقطاب الوهابية بل هي أقوال جلالة الملك المعظم محيي المملكة وحامي الجزيرة العربية كلها تقريباً ، وأكبر علماء مملكته ، وحاكم أشرف إمارة من إماراته أجمعت قولا وكتابة على أن مارميت به الوهابية محض افتراء وإفك وبهتان